الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

قسم الدراسات الإقليمية

تخصص الدراسات الإفريقية

مطبوعة مقياس: أدوات التحليل الجيوبولتيكي

السداسي الثاني: طلبة الماستر

تخصص: الدراسات الإفريقية

من إعداد:

د. علي لراري

أستاذ محاضر –ب–

رئيس المجلس العلمي
صليح مصطفى

بن بوزيد هجيرة
مديرة المكتبة

السنة الجامعية 2016-2017

11, Chemin DOUDOU Mokhtar
Ben Aknoun, Alger

Tel/Fax : 023 23 01 07
e-mail : enssp2009@yahoo.fr
Site : www.enssp.dz

المدرسة العليا للعلوم السياسية
المكتبة

تقديم:

هذه المطبوعة، هي عبارة عن ملخصات للمحاضرات التي قدّمتها لطلبة السنة الثانية ماستر، قسم الدراسات الإقليمية، تخصّص الدراسات الإفريقية في إطار تدريس مقياس: " أدوات التحليل الجيوبوليتيكي".

وبما أنّ هذا المقياس يؤكّد على وظيفة الأدوات في فهم وتحليل الظواهر الجيوسياسية، فلقد التزمت بمضمون المقرّر، بحيث ركّزت المطبوعة على الجوانب الأداتية الوظيفية التي يحتاج إليها طلبتنا، لأنّها تسمح لهم بتطبيق هذه المدارك والأدوات العملية.

ونقصد بأدوات التحليل الجيوسياسي، الوسائل التقنية والأدوات المعرفية التي تجعلنا قادرين على فهم الظواهر الجغرافية والفيزيائية وتأثيرها على العلاقات الاجتماعية ومن بعدها العلاقات السياسية، سلمية كانت أو تنازعية.

ومن جملة هذه الأدوات، اخترنا أهمّها وهي الخرائط بوصفها أداة تطبيقية فعّالة تسمح لنا بتكوين صورة شاملة عن مختلف الظواهر والقضايا الجغرافية، ثم تناولت **الموقع الجغرافي** بمختلف خصائصه لإدراك تأثير الموقع على سياسات الدول من خلال ما يطرحه من خيارات وبدائل، مستدلّين على ذلك بأمثلة واقعية تبرز دور هذا العامل الجغرا-سياسي.

وبعدها تناولت المطبوعة دور **التضاريس** والمناخ في تحديد السلوك السياسي للدول، انطلاقا من إسهامات المفكرين وعلماء الاجتماع والفلاسفة إلى آخر القضايا والنزاعات الدولية التي تبرز دور هذه العوامل وقوتها.

كما تناولنا **الموارد الطبيعية** باعتبارها رهانا من الرهانات الجيوسياسية، باعتبار توزيعها على المستوى العالمي لا يتسم بالتوزيع العادل بل بالتمركز في مناطق محدّدة نسبيا، وهو ما ينطبق بالدرجة الأولى على مادتي النفط والغاز، كأهم مصادر للطاقة وبالتالي إبراز أسباب التنافس والتنازع بين الدول الصناعية الكبرى لتأمين مواردها الطاقوية.

بيد أنّ التطرّق إلى الأدوات التطبيقية لا يستقيم دون تناول العناصر النظرية والمعرفية التي ساهمت في صياغة مختلف المدارس والمقاربات الجيوسياسية، وبما أنّه لا يمكننا القيام بجرد

جميع هذه المدارس، قمت بالتركيز على أهمّها وهي المدرسة **الجيوسياسية الألمانية** انطلاقا من أعمال فريدريك راتزل، ورودولف كيلين وهاوشوفر ووصولا إلى تطبيقاتها على أرض الواقع من خلال السياسة التوسّعية النازية.

ومن بعدها، تناولت الدراسة **المدارس الأنجلوساكسونية** بشقّيها البريطاني والأمريكي، انطلاقا من أعمال ماكيندر الأساسية إلى نظريات سبيكمان في الولايات المتحدة، وكيف كانت منطلقا لاستعمالات وتطبيقات أكثر تعقيدا من خلال سياسات الاحتواء التي اعتمدتها الولايات المتحدة الأمريكية في فترة الحرب الباردة، ولا تزال بعض من آثارها مستمرة وتظهر في خيارات معينة كتوسعة الحلف الأطلسي ومحاولات عزل وخنق روسيا.

وفي الأخير تناولت الدراسة المقاربات **الجيوسياسية الروسية**، والتي تعتبر المقاربات الأكثر اختلافا وتنوعا، مقارنة بالمقاربات الغربية، وهو ما يقود الدراسة للتركيز على عوامل الهوّية والقيم لإدراك وفهم أسباب التذبذب الحاصل في الخيارات الجيوسياسية الروسية.

تقسيم الدراسة:

- **المحاضرة الأولى: نشأة التفكير الجيوبوليتيكي.**
- **المحاضرة الثانية: التأسيس لعلم الجغرافيا السياسية.**
- **المحاضرة الثالثة:الخرائط و دورها في التحليل الجيوسياسي**
- **المحاضرة الرابعة:الموقع الجغرافي**
- **المحاضرة الخامسة: التضاريس والمناخ**
- **المحاضرة السادسة:الثروات و الموارد الطبيعية:**
- **المحاضرة السابعة: الجغرافيا السياسية الألمانية:**
- **المحاضرة الثامنة: الجغرافيا السياسية البريطانية:**
- **المحاضرة التاسعة: الجغرافيا السياسية الأمريكية.**
- **المحاضرة العاشرة:المقاربات الجيوسياسية الروسية**

المحاضرة الأولى: نشأة التفكير الجيوبوليتيكي.

لم تخلو كتب المفكرين والفلاسفة القدماء من ذكر العوامل الطبيعية وتأثيرها على سلوك الفرد والمجتمع. وبما أنّ الدولة مجتمع كباقي المجتمعات ولا تختلف عنها إلاّ من حيث درجة التنظيم والتعقيد (المجتمع السياسي) فإنه لا محالة، سيصيبها ما أصاب المجتمعات الأخرى من تأثير. و لكي نفهم هذه العلاقة (علاقة التأثير و التأثر) كما فهمها الأولون، لا بد أن نعرّج أولا على موضوع تطور المعرفة الجغرافية عبر التاريخ ومن ثمّ سنتطرق إلى موضوع البيئة الطبيعية (الجغرافية الفيزيائية) و الإنسان و الدولة ككائن سياسي طبيعي، كما تصوره بعض الفلاسفة والمفكرين و علماء الاجتماع ، كمدخل لفهم تطور المسار الطويل الذي سمح بظهور علم الجيوبوليتيك في الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

تطور المدارك والمعارف الجغرافية:

ويرتبط تطور التحليل الجيوسياسي بشكل كبير بتطور المدارك والمعارف الجغرافية، فالجغرافيا حقيقة موضوعية تتجسّد ماديا في شكل خرائط، فلقد حاولت الحضارات القديمة أن تؤسّس إدراكات محدّدة للفضاء الذي نشأت فيه وتوسّعت لتشكّل إمبراطوريات وممالك متلاحقة.

فلقد اعتمد البابليون على علم الفلك لفهم محيطهم وبيئتهم المكانية والزمانية. أمّا الفارسيون فقسّموا العالم إلى سبعة أقاليم (كشور) وجعلوا كلّ إقليم يتشكّل من سبع دوائر متساوية، ووضعوا دولتهم في الدائرة المركزية الرابعة لأحد هذه الأقاليم السبعة، والدوائر الستة المتبقّية حول دائرة المركز، بحيث ترتبط جميع الدوائر بعضها ببعض على شكل حلقات.[1]

و استفاد علماء الإغريق من المعرفة الجغرافية الدقيقة و المنظمة التي خلّفتها الحضارة المصرية و البابلية، فلقد رسم العالم أناكسيمندر الميليسي Anaximendre de Milet (حوالي 610 ق.م –546 ق.م) العالم على شكل قاعدة أسطوانية ، بينما تصورّه مواطنه أناكسيمنس على شكل مستطيل و ذلك في خريطته التي رسمها سنة 500 قبل الميلاد ، و لقد عبّرت هذه التصورات عن فضاء يمتد من صقلية إلى بحر قزوين . و هو ما يعبّر عن ضيق

---

[1] Yanne Caralec " Histoire de la cartographie", in http://www.sabix.org/bulletin/b39/histoire_cartographie.pdf, consulté le 10/05/2015. 15:45.

الأفق و محدودية الإدراك في ذلك الوقت، و انتظر الإغريق غزوات الإسكندر المقدوني لمعرفة شساعة الأقاليم الشرقية و يدركوا محدودية تصوراتهم السابقة. فلقد استطاع الإسكندر تأسيس امبراطورية شاسعة ضمّت أقاليم الحضارات القديمة (بلاد الرافدين، فارس ، مصر و الهند) و من خلال التأثير المتبادل بين هذه الثقافات و الحضارات العريقة تشكّلت أولى المدارس الجغرافية القائمة على أسس علمية متينة و بخاصة في مدينة الإسكندرية التي كانت موطنا لأعمال الفيلسوف و الجغرافي الإغريقي إيراتوستان Ératosthène (276 ق.م- 194 ق.م) الذي صمّم أولى المقاييس الجغرافية الدقيقة و ليأتي من بعده سترابو Strapon (64 ق.م- 25 ب.م) الذي ألّف كتبا عديدة و صف فيها الأقاليم المحيطة ببلاد الإغريق وصفا جغرافيا دقيقا. بينما كان بطليموس Ptolémée (90 ب.م- 168 ب.م) أشهر جغرافي في العصور القديمة و أكثرهم تأثيرا على علماء العرب المسلمين و علماء الغرب من بعدهم.[2]

و ساهمت الإمبراطورية الرومانية في ترقية المعارف الجغرافية بفضل سيطرتها على البحر المتوسط و الذي سمّاه الرومان بحرا داخليا (Mare Interim) و اعتبروه ملكا لهم (Nostrum Mare أي بحرنا) و هو ما يدل على ظاهرة التمركز الذي عرفتها مختلف الحضارات و أخذت طابعا أكثر وضوحا عند الرومان، و زاد من توسّع المعارف الجغرافية لدى الرومان شبكة الطرقات المعقّدة التي شيدوها طوال قرون سمحت لهم بربط مركز الدولة (روما) بأقاليمها الطبيعية و منه جاء العبارة (كل الطرق تؤدي إلى روما)

قام الجغرافيون المسلمون بنقل إرث بطليموس و طوروه حيث رسم البلخي و المقدسي أولى الخرائط العربية و جعلوا مكّة محورا و مركزا لها و لكنّ أعظم علماء الجغرافيا المسلمين كان أبو الريحان البيروني الذي استطاع إثبات كروية الأرض إثباتا رياضيا حسابيا فريدا من نوعه.

و شكّلت الكشوفات الجغرافية محطّة أساسية في استكشاف فضاءات أخرى من العالم سمحت للبشر من الاتصال و التواصل، حيث أدى اكتشاف كريستوف كولومبوس لقارة أمريكا و جيمس كوك لقارة أوقيانوسيا إلى مسح شامل لسطح الكرة الأرضية.

---

[2] Christian Jacob," La diffusion du savoir geographique en Grèce ancienne", in Géographie et Cultures, 1/1992, p.95.

تأثير المحدّدات الجغرافية في العلاقات الاجتماعية و السياسية.

لقد كان أرسطو من أوائل الفلاسفة الذين اجتهدوا في فهم البيئة الطبيعية (الجغرافيا) و من ثم دورها في التأسيس لعلاقات اجتماعية و سياسية محددة ، بحيث كان يعتقد أن العوامل الجغرافية و بخاصة عاملي السكان و الموارد الطبيعية هما المحددان الأساسيان لقوة أو ضعف الدولة ، كما أن للمناخ دورا في تحديد سلوك البشر، و ينطبق ذلك بالضرورة على الحياة السياسية، فسكان المناطق الباردة (حسب أرسطو) هم أقوام و شعوب قوية و شجاعة و لكنها تفتقر للذكاء و المهارة، بينما الشعوب الآسيوية تتمتع بقدر كبير من الذكاء و الفطنة لكنها تفتقر الى الشجاعة و القوة و هو ما يجعلها أكثر تقبلا للاستبداد و الاستعباد.[3]

كما اعتبر مفكرو الدولة الرومانية أن من الأسباب التي جعلت الإمبراطورية الرومانية قوية و مهيمنة لقرون طويلة هو تمتعها بموقع ممتاز و مناخ معتدل و موارد متعددة.

كما استطاع بن خلدون من صياغة نظرية اجتماعية وسياسية متكاملة تنطلق من تصور عميق لقوة المحددات الطبيعية، من تضاريس و مناخ، و دورها في تحديد معاش الإنسان (نظامه الاقتصادي من رعي أو زرع أو صناعة) وارتباط كل ذلك بما هو متاح و ممكن و تأثير ذلك على علاقات الناس بعضهم ببعض (نظرية العصبية). و ليفسر في الأخير نشأة الدولة و علاقتها بكل هذه العوامل.

و هكذا لا تزال النظرية الخلدونية قادرة على التوظيف العلمي للعوامل الجغرافية في فهم سلوك الدول، كما رأينا في السابق، بحيث أن الشعوب القادمة من بيئة صحراوية أو سهبية و التي تعيش حياة بدوية (البداوة و الترحال) هي مجتمعات تتميز بالشجاعة و القوة و هي أكثر تضامنا و التحاما (تقوم على العصبية) و هو ما يؤهلها للدخول في الصراع العنيف مع باقي العصبيات للوصول الى السلطة (غاية العصبية الملك).، بينما تفتقر شعوب المدن و الحواضر و التي تسكن الأقاليم المعتدلة (السهول و الأراضي المنبسطة ذات الهواء المعتدل) الى روح العصبية و التضامن القبلي مما يجعلها عرضة للغزو من طرف الشعوب البدوية، وهو ما تؤكده شواهد تاريخية كثيرة و في مناطق مختلفة من العالم.

---

[3]Aristote , ***La Politique*** , Introduit et traduit par Jules Tricot, Paris, Vrin, 1995, p.85.

المكتبة

أما في أوروبا فلقد اعتبر جون بودان (القرن16) أن للمناخ و التضاريس دور كبير و رئيسي في تشكيل الخصائص القومية للشعوب و سلوكها الاجتماعي و بالتالي فهي مسئولة عن شكل و طبيعة النظم السياسية المختلفة.[4]

و لكن الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو (القرن 18) هو أكثر من عالج مسألة العامل البيئي (الجغرافيا) و دوره في تحديد طبيعة النظم السياسية و قوانينها و ذلك في كتابه الشهير (روح القوانين) ، فلقد تمكن من صياغة نظرية سياسية متكاملة، و مما جاء فيها اعتبار سكان الأقاليم الباردة أكثر ميلا الى الحرية بينما يميل سكان الأقاليم الحارة الى حياة العبودية و الاستبداد.[5]

[4] Richard Spavin, " Les symboles politiques du climat: Bodin,Montesquieu,Rousseau", Thèse préentée en vue de l'obtention du diplôme de Doctorat en philosophie, Département d'Etudes françaises, Université de Toronto, (2014), p.116.

[5] Ibid.p. 164.

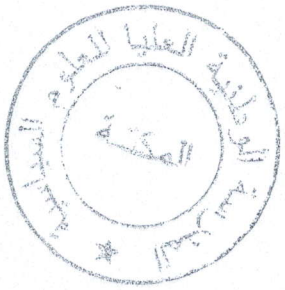

المحاضرة الثانية: تأسيس علم الجغرافيا السياسية.

يمكننا تحديد العوامل المؤسسة لعلم الجيوسياسة في 3 عوامل أساسية .

أولا: العوامل التقنية: فبفضل تطور وسائل النقل و الاتصال الذي شهده القرن التاسع عشر أصبح الربط و التواصل بين جميع الأقاليم و البلدان ممكنا، إذ أدى ذلك إلى اختصار الوقت و تيسير الحركة و التنقل ، فأصبح العالم يشكّل فضاء موحدا واضح المعالم، و كل هذا التطور ما كان ليحصل بدون التقدّم الرهيب في المجال التكنولوجي (الملاحة، النقل البري، فتح المضايق البحرية..الخ).

ثانيا: العوامل الفكرية و العلمية: و نقصد بها النزعة العلمية الجديدة (le Scientisme)التي ميزت القرن التاسع عشر، و بخاصة النزعة الوضعية (le positivisme) التي كان أوغست كومت أهم روادها و التي كانت تعتقد أنّ الظواهر الاجتماعية تخضع لنفس القوانين الموضوعية التي تميّز الظواهر المادية و الطبيعية وبالتالي فإنّ تحليلها و فهمها يتطلّب كذلك تطبيق المنهج العلمي نفسه. و الداروينية الاجتماعية (darwinisme social) و هي التيار الفكري الذي حاول تبني مفاهيم داروين الأساسية و إسقاطها على العلاقات الاجتماعية، إذ أصبح العلم ينظر إلى المجتمع و الدولة ككائن حي تتحكّم فيه نفس القوانين التي تتحكّم في الكائن العضوي (النشوء، الارتقاء، الصراع و التنافس من أجل البقاء...الخ)، و هي نظرة أنثربولوجية طبيعية تنظر للإنسان و الدولة بنظرة مميّزة ساهمت في تشكيل فهم الجيوسياسيين الأوائل.[6]

ثالثا: العوامل السياسية. و نقصد بها بروز الوعي أو الحس القومي الذي ساهم في بروز دول قومية جديدة في المسرح الأوروبي على أنقاض الممالك و الإمارات الإقطاعية (استقلال بعض الدول و توحيد الأخرى على غرار الوحدة الألمانية و الوحدة الإيطالية)، و ظهر مع هذه النزعة الجديدة (أو ساهمت في بروزه) التكالب الاستعماري و التعطّش إلى احتلال أقاليم جديدة و فق اعتبارات قومية متطرّفة تريد إضفاء شرعية علمية على مشاريعها التوسّعية.

---

[6] Sophie Chautard, ***L'indispensable de la Géopolitique,*** Paris, FNAC, 2006, 19.

و هو ما أدّى في اعتقادنا إلى تسريع ظهور هذا الفرع العلمي الجديد أي الجغرافيا السياسية الذي أراد أن يشرعن (في أغلب الأحيان) التوجّه الجديد الذي عرفته الصراعات الدولية.

ما هو الجيوبوليتيك: تعتبر الجغرافيا السياسية (Géographie politique) فرعا من الجغرافيا البشرية (Géographie humaine) التي تختلف عن الجغرافيا الطبيعية أو الفيزيائية (géographie physique)، بحيث تعنى الجغرافيا البشرية بدراسة العلاقة بين المجتمع البشري و بيئته الطبيعية بينما تقتصر الجغرافيا الفيزيائية على دراسة العوامل الطبيعية من تضاريس و مناخ دون الاهتمام بعلاقتها بالإنسان.

و تأتي أهمية الجغرافيا السياسية من كونها اهتمت بمواضيع لم يمنحها علم السياسة في بداية تشكله اهتماما كبيرا، فلقد كان علم السياسة مركزا على دور العوامل المؤسساتية و التنظيمية متجاهلا في كثير من الأحيان ، البيئة التي تتم فيها العملية السياسية، و لهذا فالجغرافيا السياسية تعتبر فرعا مكملا و ضروريا في العلوم السياسية ، نستطيع من خلاله فهم سلوك الدول داخليا (السياسة الداخلية) و خارجيا (السياسة الخارجية و العلاقات بين الدول) بحد سواء.

و عليه يمكننا القول أن علم الجغرافيا السياسية ظهر كعلم مستقل في أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين تتويجا لجهود مجموعة من العلماء الألمان و الأنجلوساكسون. كما أنّه يمكننا اعتبار التعريف الذي قدّمه الجيوسياسي السويدي رودولف كيلين Rudolph Kjellén أبسط و أعم تعريف لهذا العلم الجديد فحسبه " الجيوسياسة هي العلم الذي يدرس الدولة ككائن جغرافي organisme géographique أو ككيان في الفضاء أي بتعبير آخر الدولة كبلد، إقليم، قطاع أو سلطة. و كعلم للسياسة فهي تعنى و بقوة بمسألة وحدة الكيان السياسي و بفهم طبيعة الدولة.[7]

ملاحظة: رودولف كيلين هو أول من صاغ مصطلح (Geopolitik Géopolitique بينما استخدم راتزل مصطلح الجغرافيا السياسية (géographie politique).

[7] Pascal Boniface, La Géopolitique , Les Relations internationales, Paris, IRIS,EYROLLES, 2011,p.20.

المحاضرة الثالثة: الخرائط و دورها في التحليل الجيوسياسي

الخريطة هي تصوير مسطّح لمجمل الأرض أو جزء منها، تظهر فيها مختلف المظاهر الواقعة في هذا الفضاء، ابتداء بالتضاريس و المناخ إلى إلى مختلف النشاطات البشرية.

و بما أنّ شكل الخريطة مسطّح فهي غير قادرة على تمثّل الواقع الحقيقي، أي أنّه عندما نريد الاحتفاظ أو احترام الأبعاد الحقيقية لأحد التضاريس (كالجبال على سبيل المثال) فإنّه سيكون قي المقابل تعديل في المسافات الحقيقية، و لكنّه بالرغم من ذلك تظل الخريطة أداة فعّالة في تصوير و إسقاط الواقع على سطح مسطّح يساهم في توضيح معالم الفضاء المراد دراسته.

و بما أنّ الخريطة إسقاط تقريبي يحاول مطابقة الواقع إلى أبعد الحدود، فلقد تطورت الخرائط للوصول إلى خرائط أكثر دقّة، فظهرت لهذا السبب أنواع مختلفة نذكر أهمّها:

- الخرائط ذات الإسقاطات المطابقة (projections conformes)
- الخرائط ذات الإسقاطات المعادِلة (projections équivalentes)
- الخرائط ذات الإسقاطات المتساوية الأبعاد (Projections équidistantes)

و يرجع السبب الذي يقف وراء هذا التعقيد إلى طبيعة الأرض الكروية (البيضاوية على وجع التعقيد) و بالتالي فلا يمكننا اعتبار الخريطة المستوية المسطّحة تعبيرا دقيقا عن الشكل أو الحجم الحقيقي للأرض أو جزء منها.

يعتمد رسم الخرائط على اختيار السلّم (échelle) الذي يمكن تعريفه بالنسبة الرياضية بين البعد الواقعي للفضاء المراد رسمه و إسقاطه على الورق. و تختلف هذه النسبة باختلاف المساحات المراد رسمها، فإذا كانت المساحة كبيرة جدا فالنسبة تكون صغيرة جدا و العكس بالعكس، و عند مطالعتنا للأطلس (Atlas) سنجد أنّ السلالم متنوعة ، فمنها التي تحدّد منطقة صغيرة أو جهة، بلدا أو مجموعة من البلدان أو قارة من القارات أو الأرض بمجملها.

فالخريطة ذات السلّم الصغير هي التي تكون أكبر من 1/ 1.000.000 و هي التي يتم فيها تصوير خريطة للعالم أو ككل أو لأحدى القارات أو لدول بحجم القارة كروسيا، الصين، كندا

الولايات المتحدة الأمريكية، البرازيل و أستراليا. فالمساحة الكبيرة تتطلّب سلّما صغيرا. و من خصائص هذه الخرائط أنّها تقدّم الظواهر ذات البعد العالمي أو الإقليمي ممّا يستدعي التركيز على العوامل الكبرى و تجاهل التفاصيل و الجزئيات. [8]

و هناك **الخريطة ذات السلّم المتوسّط** و هي الخرائط التي يكون السلّم فيها واقعا مابين 1/500.000 و 1/1.000.000 و هي خرائط خاصة بمجموعة من الدول أو دولة من الحجم المتوسّط كفرنسا أو إسبانيا و هي خريطة تسمح بملاحظة الظواهر في بعديها الجهوي و الوطني.

أمّا **الخريطة ذات السلّم الكبير** فهي التي تكون فيها النسبة متراوحة بين 1/100.000 و 1/500.000 و هي تصوّر بلدانا من أحجام صغيرة أو جهة ، فهي تسمح مثل سابقتها بملاحظة الظواهر في بعدها الجهوي و الوطني و **الخريطة ذات السلّم الكبير جدا** و النسبة فيها تتراوح بين 1/10.000 و 1/100.000 و الصنفين الأخيرين يسمحان لنا بإظهار تفاصيل و جزئيات من غير الممكن إظهارها في الصنفين الأولين. و هناك سلالم أكبر و هي التي تكون فيها النسبة 1/1000 إلى 1/5000 و تسمّى المخطّطات و أخرى أكبر تكون فيها النسب من 1/100 إلى 1/500 و تسمى الخرائط الجزئية **parcellaire** و هي ذات قيمة عملية لأنّه بالإمكان إيضاح الكثير من الخصائص و التفاصيل الدقيقة كالطوبوغرافيا، الهيدرولوجيا، التموضع، شبكة المواصلات و الاتصالات، التجهيزات، و في السابق كانت مثل هذه الخرائط تسمّى خرائط هيئات الأركان "cartes d'état-major" لأنّها كانت توظّف أو تستعمل من قبل القيادات العسكرية في مباشرتها للحروب، أمّا اليوم فهي مفيدة لقطاعات أخرى كالتهيئة العمرانية و الاستثمار فهي تمّس معاش النّاس و شؤونهم اليومية.

نحتاج في علم الجيوسياسة إلى هذه الخرائط بدرجات متفاوتة بتفاوت القضايا التي ندرسها فقد نحتاج إلى الخرائط ذات السلّم الصغير إذا كان الرهان عالميا أو إقليميا، أمّا إذا كان الرهان محلّيا فالتركيز لا بد أن يكون على الخرائط ذات السلّم الكبير. و لنأخذ على سبيل المثال النزاع في **إقليم دارفور**، و هو إقليم تقترب مساحته من مساحة فرنسا، فاستعمال خريطة ذات سلّم متوسط تسمح لنا بأخذ صورة شاملة تشمل التضاريس، المناخ، المجاري و المسطّحات المائية،

8

شبكة الاتصال و المواصلات، تموقع السكّان و توزيعها ، نسبة التمدّن و الموارد الطبيعية. و إذا كانت الدراسة حول هذا النزاع تتسع لتشمل المعارك و المواجهات المسلّحة فلا بد أن نستشير خرائط أخرى يكون فيها السلّم كبيرا أو كبيرا جدّا أمّا إذا أردنا أن نفهم النزاع من زاوية أوسع تشمل تجاذباته الداخلية و الإقليمية فنحن بحاجة إلى استشارة خرائط ذوات سلالم أصغر لأن المساحة المراد دراستها ستتجاوز إقليم دارفور بعشرة أضعاف لأنّ عناصر جديدة عبر قومية ستكون ضرورية لفهم هذا النزاع كالخريطة العرقية و الطاقة و طرق نقلها المحتملة.[9]

أصناف الخرائط: هناك أصناف كثيرة من الخرائط نذكرها كالآتي:

الخرائط الفيزيائية : و تعنى بتصوير التضاريس، الشبكة الهيدروغرافية، الانفتاح على البحر ، المناخ، الغطاء النباتي، الموارد الطبيعية...ألخ

الخرائط البشرية: و توضح فيها المجموعات العرقية، الكثافة السكّانية، نسبة المواليد و الوفيات، التوزيع حسب النشاطات، التمدّن، مستوى المعيشة...ألخ

الخرائط الاقتصادية: و تظهر فيها شبكة النقل، النشاطات الاقتصادية، مستوى التنمية، المحاور التجارية وحجم النشاط التجاري...الخ.

الخرائط السياسية: و تظهر فيها الحدود، دول الجوار، التكتلات الإقليمية، التحالفات العسكرية، المنظمات الدولية..الخ

الخرائط الثقافية: و تظهر فيها الدوائر الحضارية، التاريخ، المجموعات اللغوية و المجموعات الدينية...الخ.

---

[9] Patrice Gourdin, Manuel De Géopolitique, éd., Diploweb.com, https://www.diploweb.com/Preface-Avertissement-au-lecteur.html, (consulté le 15/8/2015).

المكتبة

أمثلة نموذجية عن أصناف الخرائط:

1- الخرائط السياسية

المصدر: https://www.sangonet.com/afriqg/CartepolAfrique.html

تاريخ الولوج: (2016/05/18).

- 2- نموذج لخريطة فيزيائية لتضاريس الجزائر

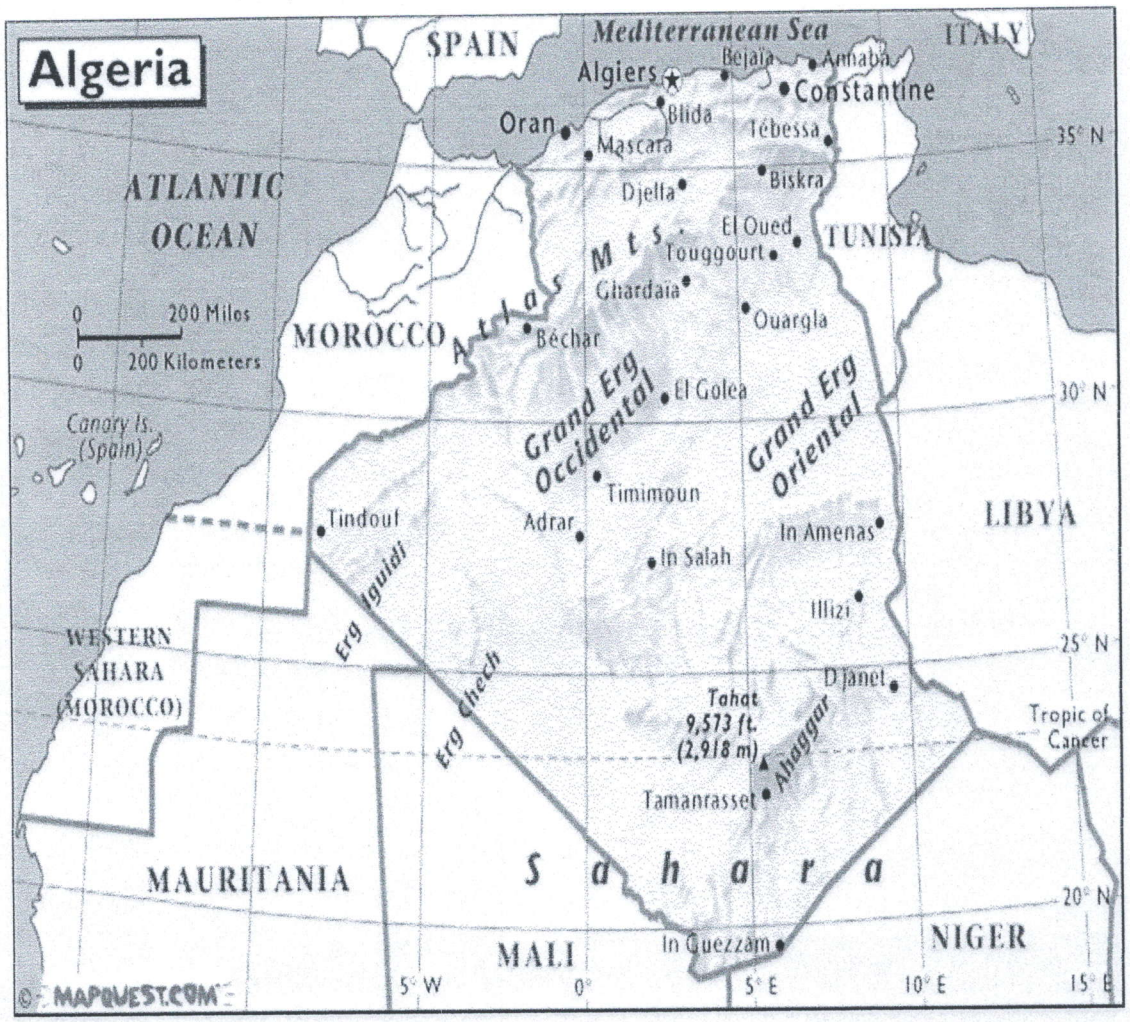

المصدر: http://www.cartograf.fr/images/map/pays-algerie/algerie_carte_relief.gif

(تاريخ الولوج: 2016/05/15)

المكتبة

المحاضرة الرابعة: الموقع الجغرافي

يحتاج التحليل الجيوسياسي إلى معرفة جيدة بالمكان أو الموقع الذي تقع فيه الأزمة أو النزاع أو أي حادث له تأثير على مجريات الأحداث، و لهذا تتم تسميته في بعض الأحيان مجازا بمسرح الأحداث، و عليه فالاستعانة بأطلس جغرافي هي أكثر من ضرورية في هذا المقام.

تسمح لنا المعطيات الجيوديزية (علم مساحة الأرض) بتحديد خطوط الطول و العرض و الارتفاع عن سطح البحر، ومختلف الخصائص الفيزيائية، فهي معطيات تحدّد طبيعة المناخ الذي يؤثّر بدوره على الكثافة السكّانية و الاقتصاد، إذ أنّ الاتجاه السائد هو ميل الإنسان إلى العيش و الإقامة في المناطق المعتدلة المناخ و السهلة التضاريس، و هي بالإضافة إلى ذلك معطيات ذات أهمّية قصوى في الميدان العسكري (مسرح المعارك)، فمعرفة الموقع بالتدقيق تتيح لنا إدراك قيمته الإستراتيجية.

يمكننا تحديد ثلاثة أصناف من المواقع أو الحالات الجغرافية (أو الجيوسياسية عندما يكون الحديث متعلّقا بالدولة)، فهناك أقاليم محاطة بالمياه (situation d'insularité) على غرار الجزر أو مجموعة من الجزر (الأرخبيل) ، و هناك أقاليم لها سواحل بحرية و هي الأقاليم المشاطئة (situation de littoralité) و هناك أقاليم لا تتمتّع بأي منفذ بحري إلى البحار المفتوحة و هذه الأقاليم تسمّى الأقاليم المحصورة أو الحبيسة (situation d'enclavement).

يشكّل الانفتاح نحو البحار بداهة أفضلية إستراتيجية و اقتصادية لأنّه يسمح للإقليم المنفتح من الاستفادة من الثروات الطبيعية (الصيد البحري، المحروقات..الخ) كما أنّه يمنح للدولة قدرة أكبر على الانخراط و الاندماج في المبادلات التجارية الدولية، دون اللجوء إلى أطراف وسيطة (intermédiaires) كما أنّه يسمح لهذه الدول بتطوير سياحتها و توفر لها القدرة على التدخّل في الشؤون الدولية، لكنّ هذه الأفضلية تظل كامنة إلى حين التمكّن من استثمارها استثمارا جيدا، و هو ما يسمى بتثمين العامل الجغرافي rentabilisation du facteur géographique ، فهناك دول استطاعت أن تستثمر موقعها البحري الاستراتيجي، بينما عجزت أو فشلت دول أخرى.

فالانفتاح على البحر كما هو الحال بالنسبة لكثير من الدول الجزرية، قد يشكّل أفضلية واضحة مقارنة بحالات جغرافية مغايرة، و لكنّه قد يتحوّل إلى عامل يهدّد أمن و استقرار الدول، لأنّها ستكون محل أطماع الدول الأخرى، و لنأخذ على سبيل المثال بريطانيا العظمى، فهذه الأخيرة ظلّت لقرون طويلة تعيش في حالة من الخوف المصاحب للتهديد المستمّر من قبل دول الجوار، غير أنّ آخر محاولة ناجحة لغزو بريطانيا كانت تجربة الغزو النورماندي سنة 1066، بينما فشلت كلّ المحاولات اللاحقة، على غرار المحاولة التي قادها فيليب الثاني ملك إسبانيا سنة 1588 و التي جهّز فيها أضخم أسطول بحري على مرّ التاريخ (l'armada invincible) و لكنّه و لحسن حظ بريطانيا فلقد عملت العواصف و الأعاصير البحرية على تحطيم عدد كبير من سفن هذا الأسطول و شتّتت الأخرى و لولا ذلك لأضحت بريطانيا مستعمرة إسبانية. و يمكننا القول أنّ محاولة الغزو الإسباني شكّلت أكبر تحدٍّ وجودي لبريطانيا و هو ما جعل ملوك بريطانيا بعدها يعملون على تكريس التفوّق و الهيمنة على الملاحة البحرية الدولية و تنشيط الحركة الاستعمارية ليتفوقوا على الاسبانيين و البرتغاليين رواد الكشوفات الجغرافية السابقة.[10]

شرح المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي Arnold Toynbee هذه الظاهرة بإسهاب كبير في مؤلفه الضخم Study of History و اعتبر أنّ الموقع البريطاني شكّل تحدّيا ضخما للشعب و صناع القرار البريطانيين فكان لزاما عليهم الاستجابة له و دفعه، و بدلا من انتظار الغزو الخارجي كان لا بد من تأهيل و استثمار هذا الموقع ليكون رافدا للقوة البريطانية و ليس العكس، إذ أنّ الهيمنة البحرية البريطانية هي التي جنّبتها خطر الغزو في لحظات تاريخها الحديث، إذ حاول نابليون غزو بريطانيا سنة 1803 دون أن يكلّل ذلك بنجاح يذكر، بل إنّ التفوق الملاحي البريطاني هو الذي حجّم من التوسّع الفرنسي في غرب و جنوب القارة الإفريقية. كما أنّ بريطانيا هي الدولة الوحيدة في غرب أوروبا التي استطاعت مجابهو التحدّي النازي في الحرب العالمية الثانية.

منحت اتفاقية Montego Bay التي أصدرتها الأمم المتحدة و المنظمة لقانون البحار حقوقا سيادية و استغلالية للدول المشاطئة ، منها ما تمارس فيه الدولة حقّا سياديا خالصا

[10] https://www.diploweb.com/Preface-Avertissement-au-lecteur.html(consulté le 16/8/2015).

و منها ما تمارس فيه حقوقا نسبية، إذ تصبح للدول مياه إقليمية (eaux territoriales) لمسافة تصل إلى 12 ميل بحري (22.224 كم)، تمارس الدولة المشاطئة فيها سيادة مطلقة، بالإضافة إلى منطقة اقتصادية خالصة (zone économique exclusive) تصل إلى حدود 200 ميل بحري (370.4 كم) و هنا للدولة المشاطئة في استغلال الموارد المائية و الثروات المتواجدة في جرفها القاري (plateau continental) و هنا لا بد أن نشير إلى وجود تعقيد يطرح بسبب وجود تداخل بين المياه الإقليمية أو المنطقة الاقتصادية الخالصة بالنظر إلى تجاور و تقارب البلدان المشاطئة في كثير من الأحوال فتتردد قراءات و تأويلات مختلفة للنصوص القانونية المنظمة للحقوق السيادية و حقوق الاستغلال، خاصة في البحار التي اكتشف فيها النفط أو الغاز، و هو ما سيشكّل عوامل تنازعية مستقبلية على غرار ما يحدث في شرق البحر الأبيض المتوسط (لبنان-إسرائيل)، (قبرص-اليونان- مصر، تركيا، إسرائيل) و هو ما سيجعل الدول تدخل في رهانات و تحالفات قصد الاستفادة القصوى من الثروات الطاقوية المكتشفة. و على غرار ما يحدث في بحر الصين بين جمهورية الصين الشعبية و جيرانها كالفلبين، فيتنام، اندونيسيا و ماليزيا.[11]

و عند الحديث عن البحار لا بد من الإشارة إلى الملاحة الدولية و أهمّية المضائق (مضيق ملقا في جنوب شرق آسيا و مضيق جبل طارق غرب المتوسط، البوسفور و الدردنيل) أو القنوات البحرية العالمية التي تصل البحار بعضها ببعض (قناة السويس الرابطة بين البحر الأحمر و البحر الأبيض المتوسط، و قناة بنما الرابطة بين المحيط الأطلسي و المحيط الهادي و التي بفضلها أمكن الربط بين شرق الولايات المتحدة الأمريكية و غربها بل إنّ الولايات المتحدة و من خلال رئيسها Théodore Roosevelt هي التي شجّعت فصل بنما عن كولومبيا في نوفمبر 1903 وذلك لخلق دولة صغيرة و تابعة لا تستطيع مقاومة الرغبة الأمريكية في السيطرة على القناة الجديدة و الحيوية في الوقت نفسه).[12]

---

[11] François, Bafoil, " Les conflits en mer de Chine méridionale", in http://www.sciencespo.fr/ceri/fr/content/dossiersduceri/les-conflits-en-mer-de-chine-meridionale . consulté le 26/06/2016.

[12] Alexandre Chevalier, " Enjeux géopolitiques du Canal de Panama",in http://www.esprit-ri.fr/enjeux-geopolitiques-du-canal-de-panama/ consulté le 28/06/2016.

و تعتبر مسألة البحار المغلقة كبحر قزوين واحدة من أعقد المسائل الجيوسياسية التي عرفتها العلاقات الدولية بعيد تفكّك الاتحاد السوفييتي، فبعدما كان بحر قزوين بحرا تتقاسمه دولتان فقط هما جمهورية إيران و الاتحاد السوفييتي إلى غاية 1991، تغيّر الحال بدخول أطراف جديدة متكوّنة من بعض جمهوريات الاتحاد السوفييتي المستقلة و هي كازاخستان، تركمنستان، أذربيجان بالإضافة إلى روسيا الفيدرالية و إيران، و كما هو معلوم، فزيادة عدد اللاعبين أو الفواعل الدولية يساهم بالضرورة في تعقيد قواعد اللعبة، و بالفعل فاكتشاف النفط و الغاز في بحر قزوين جعل كل دولة من بين دوله تريد الحصول على أكبر قدر من الفوائد على حساب الدول الأخرى، و هنا تظهر صعوبة الاتفاق على نظام قانوني موحد لبحر قزوين، خاصة عندما نعلم أنّ روسيا و إيران لم تكتشف في جرفهما القاري موارد معتبرة من النفط و الغاز مقارنة بالدول الثلاثة الأخرى. و هو ما يجعل المنطقة تدخل في صراع جيوسياسي عميق لم تستطع تجاوز تبعاته.[13]

و بما أنّ الإطلال على البحر يحقّق للدول امتيازات اقتصادية و سياسية و إستراتيجية عديدة، فانعدامه يكون بالضرورة عكس ذلك، فالانحصار الجغرافي (l'enclavement géographique) يجعل الدول الحبيسة في موقع ضعف من الناحية الاقتصادية و الإستراتيجية لأنّه يجعلها خاضعة أو تابعة لإرادة دول الجوار المطلة على البحر، و الدول الحبيسة و التي يبلغ تعدادها 48 دولة هي الدول المحرومة من الاتصال بالبحار المفتوحة، لأنّ البحار المغلقة على غرار بحر قزوين لا تمكّن الدول المطلة عليها أن تتصّل بالعالم الخارجي دون اللجوء إلى جيرانها و هو ما نلاحظه في كلّ من جمهورية أذربيجان، تركمنستان و كازاخستان، التي تحتاج إلى دول الجوار لتصريف مواردها الطاقوية من غاز و نفط. (أنظر الشكل الآتي)

---

[13] Phillipe Reckacewic, " Géopolitique des tubes en Asie centrale", Le Monde Diplomatique, Fevrier,2011,p.6.

الخريطة رقم 2: أنابيب نقل النفط و الغاز في منطقة آسيا الوسطى و القوقاز

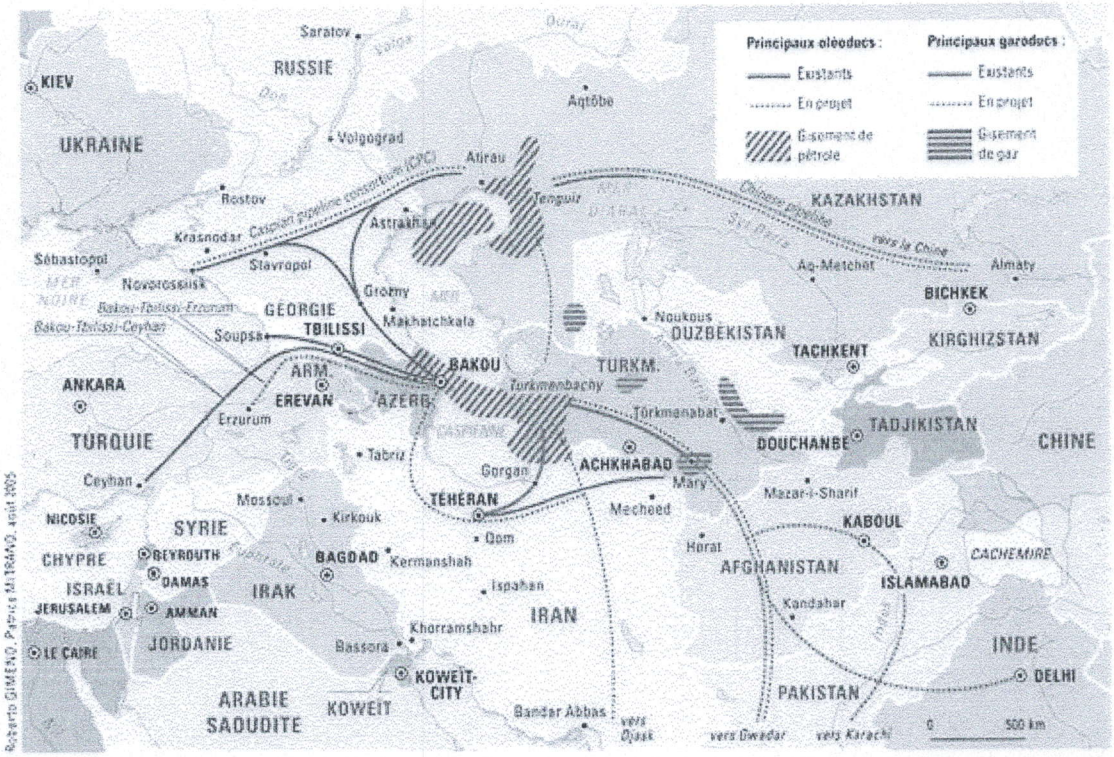

المصدر:- http://www.ladocumentationfrancaise.fr/dossiers/mer-caspienne/carte-oleoducs-gazoducs.shtml (تاريخ الولوج: 2006/05/12)

يعتبر الانحصار الجغرافي عاملا أساسيا في فهم و تفسير توجهّات السياسة الخارجية للدول الحبيسة، فالبحث عن منافذ إلى البحر قد يقودها إلى صراعات مع دول الجوار، و أشهر صراع من هذا المنوال هو النزاع الإثيوبي- الأريتيري، فعدم امتلاك أثيوبيا لمنافذ بحرية جعلها تطمح أو تطمع في ضمّ الأراضي الأريثيرية موظّفة في ذلك حجمها و قوتها الديمغرافية للاستقواء على جارتها الصغيرة المطلة على المحيط الهندي. [14]

فلا يمكننا مثلا فهم طبيعة و توجّهات كثير من الصراعات و النزاعات الدولية دون الأخذ بعين الاعتبار هذا العائق، ففي منطقة البلقان حاول الصرب طيلة قرون من الوصول إلى سواحل البحر المتوسط، و لم يتأتى لهم ذلك إلاّ من خلال انضمامهم إلى كونفيدراليات أو فيدراليات على غرار الاتحاد اليوغسلافي الذي استمّر إلى مطلع التسعينيات أو اتحادها مع جمهورية الجبل الأسود بعدها، و لكنّ انفصال هذه الأخيرة سنة 2006 أعاد جمهورية صربيا إلى وضعها الجغرافي و الجيوسياسي السابق. [15]

و في منطقة القوقاز لا يمكننا فهم التجاذبات و التحالفات التي تعقدها دول القوقاز الجنوبي أي جمهورية أرمينيا، جمهورية جورجيا و جمهورية أذربيجان دون الأخذ بعين الاعتبار وضعها الجغرافي المعيق لانفتاحها على العالم الخارجي، لهذا ظلّت دول الجوار و بخاصة تركيا و روسيا الفيدرالية تستغلاّن هذا الوضع للتقارب مع أحد الأطراف على حساب الطرف الآخر، و هو ما نراه جلّيا في النزاع على مرتفعات ناغورنو كاراباخ. [16]

---

[14] Gérard Prunier, " L'Ethiopie contemporraine "; Paris, Karthala, 2007, p.171.
[15] Xavier Bougarel, ***Bosnie, anatomie d'un conflit***,Paris, La Découverte, 1996,p.121.
[16]Viatcheslav Avioutskii, ***Géopolitique du Cauca***se, Paris, Armand Colin, 2005, p.124.

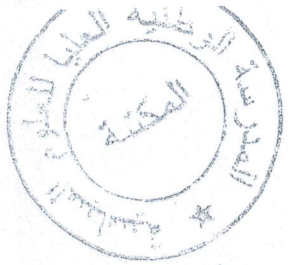

المحاضرة الخامسة: التضاريس و المناخ

الأرض ليست كرة ملساء، و مهما كان سلّم الملاحظة أو مهما ابتعدنا عن الأرض في الفضاء سنلاحظ أنّ الأرض متعدّدة التضاريس.

فهناك جزء من الأرض يتمثّل في المسطّحات المائية، و هناك أراض سهلية غير مخترقة بالأنهار و الوديان، و هناك مرتفعات و هضاب تخترقها وديان و أنهار، و هناك سلاسل جبلية تتميّز بالارتفاع عن سطح البحر و بوعورة تضاريسها.

لقد أدرك الرحالة و الجغرافيون و الكثير من المؤرخين و المفكرين أنّ للتضاريس أو البيئة الطبيعية (الفيزيائية) تأثير كبير على النشاط البشري و العلاقات الاجتماعية، اقتصادية كانت أو سياسية.

فالإغريق كانت لهم إسهامات جليلة في هذا المجال فهم من صاغوا الفكرة التي تعتقد أنّ الإنسان ابن بيئته، لكنّ أكثر من تكلّم في هذا الموضوع و صاغ منظومة نظرية واضحة تشرح العلاقة المتينة بين السلوك البشري و البيئة الطبيعية التي يعيش فيها هو المؤرخ و عالم الاجتماع العربي الكبير عبد الرحمن بن خلدون، فابن خلدون يقرّ في مقدّمته أنّ التضاريس و المناخ هي التي تفرض على الإنسان و تحدّد له طبيعة النشاط الاقتصادي الواجب إتباعه (ملاحظة: ابن خلدون يطلق على نوع النشاط الاقتصادي بالمعاش، تماما كما يسمّيه كارل ماركس بنمط الإنتاج) فطبيعة المعاش المتبّع هي التي تفرض على الإنسان التقشّف و شظف العيش و الاكتفاء بالضروري من الغذاء و الملبس و شتى أشكال متاع الحياة أو تفرض عليه حياة أخرى تقوم على الإكثار من الكماليات إلى حدود البذخ و الترف. [17]

و كلّ نمط من الأنماط هو محكوم ببيئة معينة فالصحاري و السهوب هي بيئة للعمران البدوي القائم على الرعي و الترحال المستمّر بحثا عن الكلأ و الماء، أمّا السهول و الأنهار فهي بيئة طبيعية معتدلة تشجّع على قيام أنشطة اقتصادية متعدّدة و تساهم في تضخّم الإنتاج و تنويعه إلى حدود متفاوتة بحيث تزدهر الصنائع و الحرف في المدن المقامة على أطراف الأنهار و الأحواض المائية الكبرى، و لهذا لا نستغرب عندما نجد أنّ كلّ الحواضر القديمة

[17] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدّمة، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001، ص.85.

كانت متصلة بشبكات الري (حضارة واد النيل في مصر و السودان، حضارة بلاد الرافدين أي دجلة و الفرات في العراق، و حضارة الهند المتصلة بنهر الغانج و حضارة الصين المتصلة بالنهر الأصفر...الخ).[18]

و كما أنّ التضاريس تؤثر في طبيعة النشاط الاقتصادي المتبّع فهي تفرض نفسها على العلاقات الاجتماعية، و قد أسهب بن خلدون في ذكر تأثير عوامل البيئة الطبيعية على أخلاق البشر و سلوكهم، بل إنّه صاغ نظرية علمية اجتماعية تعتبر البيئة الطبيعية عاملا أساسيا في تحديد الطبائع و الأخلاق، فهو يعتقد أنّ لكل فضاء جغرافي أو إقليم خصائص تميّزه عن الأقاليم الأخرى، فسكّان الأقاليم الحارة لهم ممارسات و طبائع و سلوكيات تميّزهم عن سكّان الأقاليم الباردة و سكّان الصحاري و القفار يتميّزون عن سكّان السهول و الأراضي المنبسطة، بل إنّ نظريته المسمّاة بنظرية " العصبية" تشير فيما تشير إليه إلى وجود علاقات اجتماعية تميّز القفار و الصحاري و هي حياة البداوة و الترحال و هو نمط معاشي يتميّز أهله بالتعاضد و التكافل و النعرة بين أبناء القبيلة و العشيرة، فالبيئة الصعبة فرضت على أبنائها وجوب التلاحم و التحالف و التآلف لصدّ العدوان و الغزو و للتمكّن من مواجهة ظروف الطقس و المناخ الصعبة.

و يرى ابن خلدون أنّ البداوة صفة ملازمة للبيئة الصحراوية و السهبية و هي التي تتبلور فيها خصائص ظاهرة العصبية التي تؤسس للصراع و التنازع بين القبائل المتجاورة إلى غاية انتصار عصبية غالبة على العصبيات الأخرى و إسقاطها للدولة أو العصبية الحاكمة، و تاريخ الممالك الإسلامية حسب ابن خلدون هو تاريخ لصراع العصبيات. و أول ما تقوم به العصبية المتغلّبة بعد اسقاطها للدول هو تحولّها من من الحياة البدائية التي تميّز بيئتها الطبيعية و انتقالها إلى بيئة أكثر اعتدالا من حيث التضاريس و المناخ ، و انظر كيف انتقل الأمويون إلى دمشق و العباسيون إلى بغداد و الفاطميون إلى القاهرة ...الخ، فالاجتماع السياسي حسب ابن خلدون و تأسيس الدولة يتطلّب حياة مدنية و عمران أكثر تعقيد و تحضّرا.

و لهذا يمكننا اعتبار الفكر الخلدوني فكرا جيوسياسيا بامتياز، ساهم في إماطة اللثام عن تأثير الظواهر البيئية و الطبيعية في العلاقات الاجتماعية و السياسية.

---

[18] المرجع نفسه، ص.103.

تشكّل السهول (les plaines) الأقاليم الأكثر جذبا للبشر، و لهذا نجد أنّ 56% من سكّان المعمورة يعيشون في أراض لا يتجاوز علّوها 200 متر، و نفس الشيء بالنسبة للمدن و النشاطات التجارية و الاقتصادية، فاستواؤها الكامل أو النسبي يمنح أفضلية كبرى، لأنّه يسمح و يسهّل حركة العمران و البناء و الزراعة، تماما كما يسهّل المواصلات و شق الطرق و خطوط السكّة الحديدية، و هو ما يكون عسيرا للغاية في المناطق الجبلية الوعرة، و تتواجد السهول عادة بمحاذاة البحار (المنافذ البحرية) أو قريبة منها (إذ أنّ ثلثي عدد سكّان المعمورة يقطنون في أقاليم ساحلية أو لا تبتعد في أسوأ الأحوال بمسافة 500 كم عن السواحل)، و هو ما يسمح بانفتاح هذه الأقاليم و اندماجها في ديناميكية التجارة و المبادلات الدولية.[19]

فلقد شكّلت السهول الفرنسية و البريطانية المطلة على المحيط الأطلسي و المحاطة بالأحواض المائية، عامل قوة و دفع كبيرين ساهما في تبوأ الدولتين لمكانة رفيعة في سلّم القوى الكبرى طوال قرون خلت.

بيد أنّ هذا لا يمنع من وجود بعض المشاكل التي تعترض عادة الأقاليم الساحلية، و ذلك بالنظر إلى خلّوها من العوارض و الموانع الطبيعية كالجبال و الأحواض المائية، فهذا قد يشجّع على احتلالها و غزوها من قبل الأعداء، و هو ما حدث فعلا بالنسبة لفرنسا في مراحل سابقة، فلقد سهّلت السهول محاولات الغزو النورماندي للأراضي الفرنسية في القرن التاسع عشر الميلادي. أمّا في العالم العربي فلقد مثّلت المناطق المسطّحة في جنوب العراق تاريخيا نقطة الضعف الجيوسياسي الكبرى و هو ما يظهر في تعرّضها الدائم للغزو من قبل الدول الكبرى (بلاد فارس) أو من قبل القبائل البدوية القاطنة في الجزيرة العربية.

و في المقابل لا تشكّل الجبال إلاّ جزء بسيطا من اليابسة مقارنة بالأقاليم السهلية و الهضاب، و السلاسل الجبلية هي محصّلة للحركية الدائمة التي تعرفها القشرة الأرضية منذ بداية تشكّل كوكب الأرض، إذ أنّها نقطة لالتقاء الصفائح التكتونية (plaques tectoniques)

---

[19] Patrice Gourdin, Manuel De Géopolitique, éd., Diploweb.com, https://www.diploweb.com/Preface-Avertissement-au-lecteur.html, consulté le 14/05/2016)

و ارتفاعها أو انخفاضها هو دال على شدّة التصادم الذي عرفته هذه الألواح، فشبه الجزيرة الهندية لم تكن في القديم جزء من القارة الأروآسيوية و اصطدامهما أنتج لنا سلسلة جبال الهيملايا.(أنظر الشكل التالي)

الخريطة رقم 1: الصفائح التكتونية الكبرى

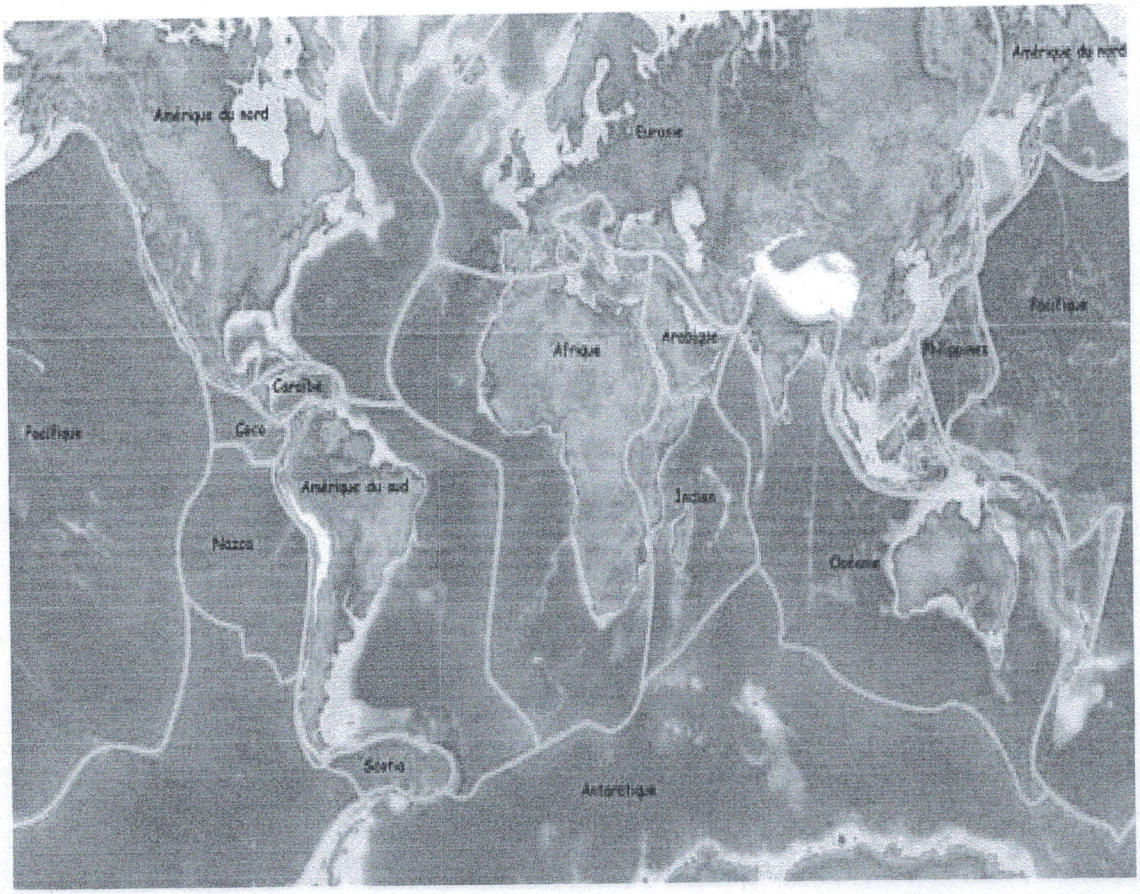

المصدر: http://science.vulcania.com/terre-volcans/terre-et-tectonique/tectonique-des-plaques.html (تاريخ الولوج: 2016/02/05).

و شكّلت الجبال منذ القديم صورة خاصة في مخيّلة الشعوب و الأمم، فهي مأوى للشعوب و الأمم التي اختارت العزلة للهروب من اضطهاد الدول و الممالك الغازية، و هو ما يفسّر لنا استقرار الكثير من الأقلّيات العرقية و الدينية في المرتفعات الجبلية بعيدة عن أعين و اهتمام

السلطات المركزية، و أحسن الأمثلة نجدها في جبل لبنان حيث تتواجد معظم الطوائف و الأقليات الدينية، المسيحية منها و المسلمة على غرار الدروز و النصيريين بالنسبة للطوائف الإسلامية و على غرار الموارنة و الأرثوذكس و النساطرة بالنسبة للطوائف المسيحية.[20]

و من الناحية الجيوسياسية تعتبر السلاسل الجبلية إحدى الموانع و العوازل الطبيعية التي شكّلت منذ القديم الحدود الفاصلة بين الدول، كما هو الحال بالنسبة لجبال البرينيه (les Pyrénées) التي تفصل فرنسا عن شبه الجزيرة الإيبيرية أو كما هو الحال بالنسبة لسلسلة جبال الهملايا التي تعتبر قممها الحد الفاصل بين كثير من دول المنطقة.

بيد أنّ الجبال لا تقتصر على هذه الوظائف، فهي تكتسي أهمّية بالغة في المجال الاستراتيجي، فالصراعات و الحروب في كثير من الأحيان كانت نتيجة رغبة أحد الأطراف المتحاربة في الاستحواذ على بعض القمم الجبلية، للتمكّن من مراقبة حركة العدّو و التحكّم فيها، و هي الأسباب التي تجعل من جمهورية الصين الشعبية و الهند تتصارعان لاكتساب مواقع جبلية إستراتيجية في جبال الهملايا أو الهيمنة على بعض الدول الجبلية كجمهوريتي نيبال و اللاوس.

أمّا السبب الثاني لتحوّل الجبال إلى عامل للتنازع و الصراع بين الدول، فهو راجع لكون أغلب الأنهار و الأحواض المائية تحصل على مصادرها المائية من ذوبان الثلج و الجليد المتراكم في قمم الجبال، و عليه يصبح التحكّم و السيطرة على قمم الجبال هو سيطرة على منابع الأنهار و البحيرات الكبرى، و لهذا تهدف الكثير من دول آسيا الوسطى، إضافة إلى الصين إلى السيطرة على قمم جبال بامير.[21]

و تكتسب الجبال أهمّيتها الجيوسياسية في تحولّها إلى ملاذ لحركات التمرد و الانفصال و كذا حركات التحرّر الوطني، فجيش التحرير الوطني في الجزائر تمركز في المناطق الجبلية و تجنّب المناطق السهلية المنكشفة، على غرار جبال الأوراس و جرجرة و الصومام و البابور

---

[20] Hervé Hamiot, " Le Liban; Géographie d'un Etat multiconfessionnel", in http://www.lesclesdumoyenorient.com/Le-Liban-geographie-d-un-Etat.html consulté le 12/05/2016.

[21] Jeremy Allouche, " Géopolitique de l'eau en Asie centrale", CEMOTI, 35/2003.p.155.

و الونشريس و الأطلس البليدي، فلقد اقترنت الثورة في المخيلة الجزائرية بالجبل بحيث أنّه يكفي أن يقال على شخص أنّه صعد الجبل ليفهم من كلامه أنّه التحق بالثورة.

أضف إلى ذلك ظروف العيش الصعبة في الجبل و التي تربّي في قاطنيه جملة من الصفات و الخصال كالقوة و الشدة و الشجاعة و الاعتداد بالنّفس بحيث يتحوّل الجبل دائما إلى موطن للثورات و التمرد على السلطات المركزية التي تعمل على إخضاعه أو عزله كما هو حاصل في جبال الريف في المملكة المغربية (ثورة عبد الكريم الخطابي في الريف)، و جبال القوقاز الشمالي في روسيا القيصرية حيث شهدت أعتى مقاومة مسلّحة على يد الشيخ شامل الداغستاني في القرن التاسع عشر و التي اضطرت فيها روسيا القيصرية إلى إرسال حملات عسكرية متلاحقة يقودها أحسن جنرالاتها على الإطلاق، فشعوب القوقاز و بخاصة الشيشانيين شكّلت للروس هاجسا أمنيا مستمّرا، حيث اضطر السوفييت إلى تهجيرهم قسريا إلى سهوب كازاخستان و سيبيريا في فترة الحرب العالمية الثانية إبّان الحكم الستاليني، و لم يعودوا إلاّ في مرحلة حكم خروتشيف في أواسط الخمسينيات، و كان الشيشان أول من طالب باستقلال جمهوريتهم عن روسيا الفيدرالية بعيد تفكّك الاتحاد السوفييتي، و عرفت المنطقة حربين عنيفتين جدا انتهت الأولى لصالح الشيشان و الثانية شهدت إبادة حقيقية انتهت بعودة الهيمنة الروسية.

المحاضرة السادسة: الثروات والموارد الطبيعية:

تزخر الكرة الأرضية بثروات طبيعية هائلة، سواء كانت واقعة في أعماق الأرض أو سطحها أو كانت في الأحواض المائية و البحار، لكنّ الإشكال الذي يطرح دائما هو توزيعها غير المنتظم و العادل بين الأمم، فبينما تزخر بعض الدول و الأقاليم بتنوع كبير في الموارد الطبيعية، هناك دول أخرى تفتقر إلى الموارد الطبيعية.

هذا التنوع في الموارد (diversité) و عدم التساوي في توزيعها (inégalité dans la répartition) ساهم منذ القدم في ظهور الصراعات و النزاعات سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي. فالتنافس بين الدول الكبرى على المناطق الغنّية بالموارد الطبيعية شكّلت إحدى السمات البارزة للعلاقات الدولية، و اشتدّت بقوة مع تطوّر التكنولوجيا العسكرية و المواصلات، فلقد أدّى تطور الملاحة البحرية في القرن السادس عشر و بروز الكشوفات الجغرافية إلى احتدام الصراع بين عديد الدول الأوروبية لاحتلال أغنى الأقاليم في القارة الجديدة (قارة أمريكا) و بينما تقاسم البرتغاليون و الإسبانيون الجزء الجنوبي من القارة، تنافس الإنجليز و الفرنسيون على القسم الشمالي، و لقد كان اكتشاف الذهب و المعادن النفيسة واحدا من العوامل التي زادت من حدّة الصراع فأدى ذلك إلى تسمية هذه الظاهرة مجازا بحمّى الذهب (la fièvre de l'or) كما سمّيت الأراضي الغنّية بالثروات منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا بالالدورادو (eldorado) و هي كلمة إسبانية الأصل تعني حرفيا الأرض المرصعة بالذهب (terre dorée)، و لقد شكّلت هذه الفترة الظروف المواتية لبروز الرأسمالية التجارية أو المركنتيلية، و التي كان أساس القوة و الثراء فيها هو امتلاك المعادن النفيسة من ذهب و فضة و ماس...الخ.[22]

بينما شكّل الفحم و الحديد أساس المرحلة الأولى من الرأسمالية الصناعية و سببا في التطور الهائل الذي عرفته الدول الرأسمالية الكبرى، انطلاقا من بريطانيا العظمى التي استطاعت لأول مرة من توظيف الفحم كمصدر للطاقة سمح بتشغيل الآلة الإنتاجية لآلاف المصانع و آلاف الأميال من شبكة السكك الحديد التي احتاجت إلى الفحم لتشغيل محركات القطارات و الحديد

---

[22] Ruggiero Romano, ***Les Mécanismes de la conquête colo**niale : Les Conquistadors*, Paris , Imprimerie-Reluire Mame, 1975, p.38.

الصلب لإنشاء سكّة الحديد، و مع انتقال الثورة الصناعية و انتشارها في الغرب الأوروبي أصبح الصراع على هذين العنصرين واحدا من أسباب القوة و التنافس، و ليس غريبا أن يكون أهم سبب للصراع بين ألمانيا (بروسيا) و فرنسا على الألزاس و اللورين (l'Alsace et la Lorraine) هو كونهما تزخران بالحديد و الفحم. بل إنّ الصراع العالمي المحتدم على المستعمرات الإفريقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان أحد الظواهر التي ساهمت في بروز الجغرافيا السياسية الألمانية و مفهومها الأشهر (المجال الحيوي l'espace vital). فألمانيا الملتحقة مؤخرا بركب القوى الاستعمارية أصبحت أكبر قوة صناعية في غرب أوروبا و هو وضع رأت أنّه لا يتلاءم مع مكانتها الحالية و يستدعي أن تتنازل لها الدول الاستعمارية التقليدية (فرنسا و بريطانيا على وجه الخصوص) عن بعض مستعمراتها و هو ما تمّ فعلا في مؤتمر برلين (المنعقد في الفترة الممتدة من 15 نوفمبر 1884 إلى غاية 16 فيفري 1885).[23]

و في مقابل الدول القوية، تظل الدول الغنّية بالموارد الطبيعية و الفقيرة من الناحية التنموية و التقنية و الضعيفة سياسيا، محلّ أطماع الدول القوّية، بل إنّه سيتّم ضمّها و إلحاقها كمستعمرات توفّر الموارد الطبيعية و اليد العاملة الرخيصة، و هو ما شرحه فلاديمير لينين (Vladimir Lénine) باستفاضة في كتابه الشهير: (Impérialisme: stade suprême du capitalisme) و هو نفس الموضوع الذي تناولته Rosa Luxembourg و John Atkinson Hobson.

و على هذا فلقد فسّر الماركسيون و غيرهم أسباب قيام الحرب العالمية الأولى بأسباب اقتصادية صرفة معتبرينها تتويجا لمرحلة جديدة من مراحل تطور الرأسمالية التي انتقلت من المستوى الوطني الضيق إلى مستوى عالمي بحثا عن المنافذ و الأسواق و المواد الخام الضرورية لاستمرارها.

و يعتبر القرن العشرين قرنا للنفط و الغاز بامتياز، نظرا لتربّع البترول على قائمة مصادر الطاقة الحيوية للصناعة و المواصلات، و عندما نتكلّم عن النفط سنتكلّم بالضرورة على

---

[23] Mathieu Grobli, " Partage de l'Afrique (1884-1885) " ,in http://afrikhepri.org/balkanisation-de-lafrique-1884-1885/ consulté le 28/6/2017.

المكتبة

جيوسياسة الموارد الطبيعية و عن النزاعات و الصراعات الكثيرة التي حدثت بسبب إرادة الدول الكبرى في الهيمنة على الأقاليم النفطية.

ارتبط تاريخ القرن العشرين بالتنافس الدولي على منطقة الشرق الأوسط، ابتداء من اكتشافه في بلاد فارس و العراق و بعدها في منطقة الخليج، ولم يكن العامل الطاقوي بعيدا عن مدركات صنّاع القرار البريطانيين و الفرنسيين حين صياغة خطط تقسيم العالم العربي (اتفاقية سايكس بيكو) و بخاصة بسبب اكتشاف النفط في شمال العراق (الموصل و كركوك)، و ممّا زاد من أهمية المنطقة اكتشاف احتياطات أعظم من النفط في شبه الجزيرة العربية (الخليج العربي).

أدّى مسار التأميمات المتلاحقة لصناعة النفط في الكثير من الدول النامية إلى ظهور تكتلات و كارتلات هدفها الحفاظ على حقوق الدول المنتجة بغية تحقيق التنمية، لكنّ هذه التأميمات كانت في الكثير من الأحيان سببا في بروز الانقلابات العسكرية و محاربة الأنظمة الوطنية الراغبة في استعادة الثروات الطبيعية الوطنية من أيدي الشركات المتعدّدة الجنسيات، و من أشهر هذه القضايا، الانقلاب الذي حصل في إيران و الإطاحة بحكومة مصدّق الوطنية التي قامت بتأميم الشركة الأنجلو–فارسية، للإبقاء على تبعية هذه الدولة للاستعمار الخارجي، بنفس الطريقة التي تمّت بها الإطاحة بحكومة أليندي في الشيلي سنة 1973 بعد تأميمه لصناعة النحاس التي كانت الشركات الأمريكية تحتكره لعقود طويلة.

و لقد أدركت الدول المنتجة للنفط أهمّية و حيوية هذه المادة فقامت الدول العربية باستخدامه كسلاح فعّال لإكراه الدول الغربية بالعدول عن سياساتها المناوئة للقضية الفلسطينية.

و مع انتشار حركية التنمية و التصنيع على مستويات أوسع أصبحت قضايا نقل و تأمين طرق نقل الطاقة إحدى أهمّ أولويات الدول الكبرى، و أصبح التسلّح و امتلاك أساطيل قوّية إحدى مظاهر حماية هذه الموارد، و هو ما نلاحظه في التنافس الصيني الأمريكي الحاصل في المحيط الهندي، بل إنّ الكثير من الصراعات التي نشهدها اليوم ما هي في حقيقة الأمر إلا تعبير عن وجود استراتيجيات و بدائل متنوعة لنقل الطاقة قد قد تثمّن المكانة الجيوسياسية لبعض الدول أو تضعفها، فالصراع الحاصل في سوريا له مضامين اقتصادية تتمثل في رغبة كلّ من روسيا، إيران و قطر في الاستفادة من الموقع الهّام الذي تكتسبه السواحل السورية لنقل

الطاقة إلى أوروبا، و هو ما يصدق كذلك على جمهورية تركيا التي تحولّت في السنوات الأخيرة إلى مفترق طرق مركزي لنقل الطاقة من آسيا إلى أوروبا.

و تمثّل قضيّة نقل النفط و الغاز من جمهوريات آسيا الوسط الحبيسة إحدى أهمّ القضايا المرتبطة بالجغرافية السياسية للنفط، فموقع هذه الدول يمنحها خيارات أربع لكنّها خيارات قد لا ترضي كلّ الأطراف، فروسيا الاتحادية حاولت جاهدة أن تحتفظ بمكانتها السابقة كمحور مركزي لخطوط نقل الطاقة في الفترة السوفيتية، و لهذا فلقد عملت على تعطيل المشاريع البديلة، و بخاصة مشروع باكو- تبيليسي-سيحان الذي ينقل نفط قزوين عبر أنابيب من العاصمة الأذربيجانية باكو إلى ميناء سيحان التركي في البحر الأبيض المتوسط مرورا على العاصمة الجورجية تبيليسي، أي عبر مناطق تخترقها بؤر توتر معقّدة (الحرب الجورجية – الروسية التي انتهت بضمّ إقليمي أبخازيا و أوسيتيا و المنطقة الشرقية من هضبة الأناضول التي يقطنها الأكراد الذين دخلوا منذ عقود طويلة في حرب أهلية دامية بقيادة حزب العمّال الكردستاني P.K.K) كما أنّ نقل الطاقة من بحر قزوين عبر الأراضي الإيرانية عرف رفضا أمريكيا صريحا (قانون داماتو 1996 الذي يحرم الشركات النفطية المتعاملة مع إيران من الاستثمار في السوق الأمريكية.[24]

[24] Guillaum Devin, " Quand les Etats-Unis font payer leur puissance" in Le Monde , DU 08/07/2004.

المحاضرة السابعة: الجغرافيا السياسية الألمانية:

التطرق إلى الجغرافيا السياسية الألمانية هو بالضرورة تطرّق إلى الظروف السياسية التي ساهمت في تأسيس هذا الحقل المعرفي الجديد، فلا يمكننا تصوّر الجيوسياسة بمعزل عن سياقها القومي و سياقها التاريخي، إذ لا يخفى على عارف حجم التغيرات التي طرأت على ألمانيا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، و هي الظروف التي شكّلت المناخ الذي نشأت فيه و تطورت التيارات الجيوسياسية.

و يعتبر الجغرافي الألماني فريدريك راتزل Friedrich Ratzel (1844- 1904) أول من صاغ مصطلح الجغرافيا السياسية ، بل إنّه كان عنوانا لكتاب صدر له سنة 1897 . تأثر راتزل كثيرا بأفكار تشارلز داروين حول النشوء و الارتقاء (نظرية التطور) و استعمل أفكاره حول الكائن الحي (علم الأحياء أو البيولوجيا) في دراسته للدولة بحيث قارنها بالكائن الحي من حيث التكيف و التأقلم مع بيئتها الطبيعية (الجغرافيا) حيث يقول في كتابه " *الجغرافيا السياسية" الدولة تخضع لنفس المؤثرات التي يخضع لها كل كائن حي ، إن انتشار البشر في الأقاليم هو الذي يحدد اتساع رقعة الدول... و الحدود بين الدول لا يمكننا فهمها إلا كتعبير عن حركة عضوية طبيعية".* [25]

كما تأثر راتزل بالنظرية الديمغرافية المالتوسية (نسبة إلى توماس مالتوس Thomas Malthus 1766- 1834) حيث يرى راتزل أنّه " بالنسبة للإنسان، مساحة الأراضي ثابتة و لكنّ عدد البشر يتزايد باستمرار، فالرقعة التي يعيشون فيها هي دائما نفسها، فالأرض (الرقعة) هي العامل المادي الموحّد الوحيد لأي شعب le sol est le seul facteur de cohésion matériel pour chaque peuple" و يقول كذلك في مقام آخر " لم تستطع السلطات الروحية ، على مر التاريخ أن تضعف هذه الروابط ، و كلّما زاد عدد البشر ازدادت أهمّية الأرض أو الاقليم ، فالأقاليم الكبيرة تمنح لساكنيها الحماية نتيجة تباعد المسافات (...)

[25]Gérard Dussouy, Traité De relations internationals,Tome1, Les théories géopolitiques, Paris , L'harmattan, 2006, p.186.

و لهذا فإنّنا عندما نلاحظ التنافس الحاصل بين الشعوب القوّية و الشعوب الضعيفة أنّ الشعوب الضعيفة ستتوارى في أقاليم ضيقة"[26]

وهنا نلحظ تبرير فريدريك راتزل لمبدأ التوسع، و استعمار أقاليم الغير و تفسيره تفسيرا علميا يتفق مع مبدأ " البقاء للأقوى و الأصلح"، من خلال مفهومه الجديد " المجال الحيوي l'espace vital أو Lebensraum باللغة الألمانية[27]، فلقد كان يعتقد أن هناك مجتمعات طبيعية بدائية و أخرى متحضرة، و أنه من حق المجتمعات المتحضرة السيطرة على الأولى بدافع نشر الحضارة، و هو المبدأ الذي يتناسب مع السياسة الاستعمارية الألمانية في إفريقيا (المجتمعات الطبيعية أو البدائية حسب راتزل) في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين و التي كان من نتائجها الحرب العالمية الأولى.

فراتزل حاول تبرير السياسة الاستعمارية التي تبنّتها ألمانيا بعد توحّدها و التي كان مؤتمر برلين سنة 1885 أهم محطّاتها (عقد هذا المؤتمر لتنظيم مسألة تقسيم المستعمرات الإفريقية الجديدة بما يتوافق مع تصاعد القوة الصناعية و العسكرية الألمانية)

و يأتي كارل هاوشوفر Karl Hauschaufer (1869- 1946) فيما بعد و يقوم بتطوير أفكار فريدريك راتزل و بخاصة مبدأ" المجال الحيوي" اذ يعتبر هاوشفر أوروبا الشرقية و الوسطى كمجال حيوي لألمانيا و ليس إفريقيا كما يقول راتزل ، و هو الذي جعل الكثير من الخبراء يعتبر هاوشفر منظرا للنازية، بحيث أن أفكاره و أفكار راتزل حول المجال الحيوي بدت واضحة للعيان في كتاب أدولف هتلر الشهير " كفاحي". و يعتبر هاوشفر أبرز من طور علم الجيوسياسة في ألمانيا من خلال مجلة الجيوسياسة التي أسسها سنة 1924، و التي عملت على نشر التصور الجيوسياسي الألماني على حساب أطروحات الدول الأخرى.

---

[26] Ibid.p.192.

[27] **Lebensraum كلمة ألمانية مركبة من Leben و تعني الحياة (vie) و كلمة Raum و تعني الفضاء (espace) .**

المحاضرة الثامنة: الجغرافيا السياسية البريطانية:

يعتبر هالفورد ماكيندر Halford Mackinder (1861- 1947) أشهر عالم بريطاني مختص في هذا المجال، و على غرار راتزل كان ماكيندر يعتقد أن العرق الأنجلوساكسوني هو الجنس الراقي و المتفوق و أنه مرتبط بوظيفة تحضير الشعوب المتخلفة.

كان ماكيندر ينظر إلى العالم ككل موحد (totalité) يضم جزيرة العالم أو قلب العالم (heartland) باللغة الانجليزية ، و تتكون من القارة الأوراسية و إفريقيا ، و الجزر الطرفية (Outlyings Islands) و تتشكل من قارتي أمريكا و أستراليا، و كلها تقع في محيط عالمي (Océan mondial)واحد .و بالنسبة لماكيندر فهناك قوى بحرية تقع ضمن الهلال الخارجي و قوى قارية أو برية تقع ضمن الهلال الداخلي.

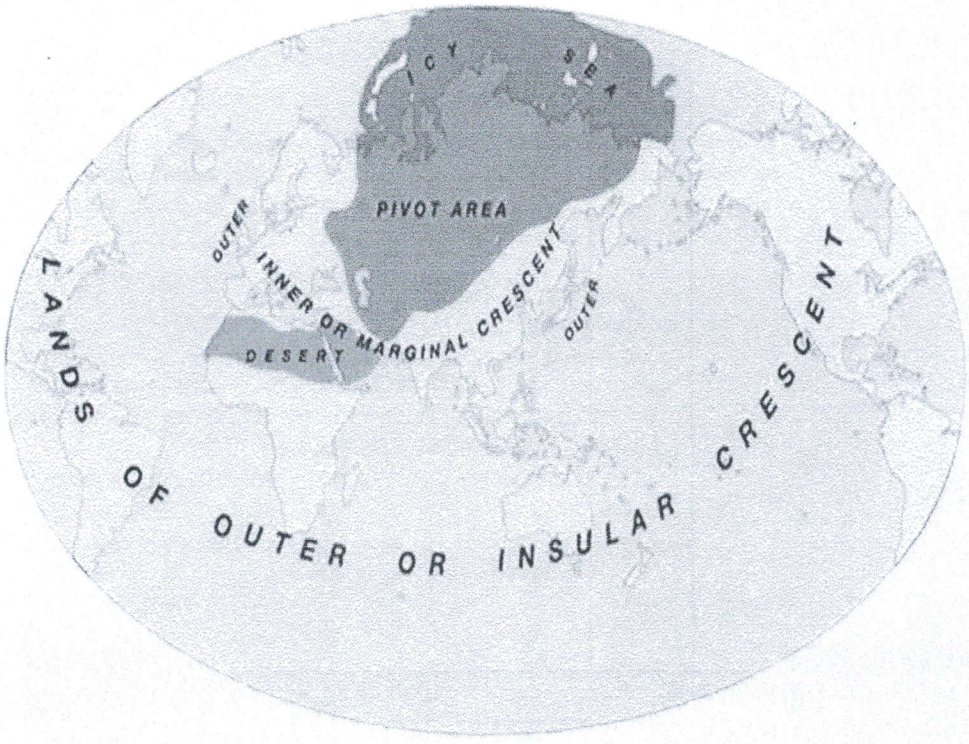

خريطة توضيحية رسمها ماكيندر توضّح تصوره للصراع بين قوى الهلال الخارجي و الهلال الداخلي للسيطرة على قلب العالم

و بحسب ماكيندر فالدولة التي تريد أن تسيطر على العالم ، لا بد أن تسيطر أولا على قلب العالم ، و لكي تسيطر على قلب العالم فلا بد أن تسيطر على المنطقة الممتدة من سهول أوروبا الوسطى وصولا الى سيبيريا الغربية، لأن هذه المنطقة تلاصق مناطق هامة من قلب العالم و هي البحر المتوسط ، الشرق الأوسط، جنوب آسيا و الصين ، و لقد أعطى أمثلة تاريخية تؤيد أطروحته و هي موجات الغزو المغولي و بخاصة تلك التي قادها جنكيز خان و تيمور لنك ، و لقد اعتبر ماكيندر سهول أوكرانيا الموقع الأفضل لانطلاق عمليات التوسع نحو مناطق أخرى. و لقد قام ماكيندر باختصار أطروحته في جملة صغيرة" *من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم و من يسيطر على قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم و من يسيطر على جزيرة العالم يسيطر على العالم.*

تعتبر أفكار ماكيندر أطروحة تدعو بريطانيا كدولة بحرية "جزيرة" إلى تبني سياسة منافسة للدول البرية الكبرى في أوراسيا أي ألمانيا و روسيا في ذلك الوقت ، بحيث أنه كان يتخوف من أي تقارب بين ألمانيا و روسيا.

المحاضرة التاسعة: الجغرافيا السياسية الأمريكية.

يعتبر نيكولاس سبيكمان Nicholas Spykman (1893- 1943) أشهر خبير جيوسياسي أمريكي . و كانت أفكاره شبيهة بأفكار ماكيندر غير أنها كانت منصبة على الولايات المتحدة الأمريكية و ليس بريطانيا، و كان تأثير أفكار سبيكمان على صنّاع السياسة الخارجية الأمريكية مماثلا لحجم التأثير الذي عرفته أفكار و طروحات ألفريد ماهان Alfred Mahan (1840- 1914) على القادة الأمريكان و بخاصة على الرئيس الأمريكي ثيودور روزفيلت Theodore Roosevelt (1858- 1919) في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين. و ما يجمع بين العالمين (أي سبيكمان و ماهان) هو تأكيدهما على أهمّية القوة البحرية و ضرورة أن تكون أمريكا قادرة على التفوّق و السيطرة على كلّ القوى البحرية.

قسم سبيكمان العالم إلى دوائر جغرافية متمايزة استوحاها من أعمال ماكيندر و هي :

- قلب العالم Heartland و هي منطقة تضم أوروبا الشرقية و روسيا و هي مركز العالم.
- الهلال الداخلي Rimland و هي منطقة تضم أوروبا الغربية و الشرق الأوسط و شرق آسيا.
- الهلال الخارجي the Off-Shore Continents و تضم بقية العالم و تتضمن بريطانيا العضمى، اليابان ، أستراليا، أمريكا الجنوبية و الشمالية و إفريقيا.

و بنفس الطريقة التي طرح بها ماكيندر فكرته يعتقد سبيكمان أنه " من يسيطر على الهلال الداخلي Rimland يسيطر على أوراسيا و من يسيطر على أوراسيا يسيطر على العالم".

بالنسبة لنيكولاس سبيكمان، تعتبر منطقة الهلال الداخلي Rimland أكثر أهمّية من المنطقة التي تمثّل قلب العالم Heartland لأنّها تحتوي على دول تمتلك محدّدات ديمغرافية و صناعية (على غرار ألمانيا و اليابان) أهم من الدول التي تشكّل منطقة قلب العالم، و لهذا فهو كان يرى في تحالف الولايات المتحدة مع بريطانيا و الصين أحسن صيغة لضمان التفوق على ألمانيا النازية و اليابان العسكرية ، خاصة أن تلك الفترة كانت فترة احتدم فيها الصراع العالمي (الحرب العالمية الثانية).

و بما أنّ نيكولاس سبيكمان توفي قبل نهاية الحرب العالمية و التي كان من نتائجها تحييد ألمانيا و اليابان، فإنّ الجيوسياسيين الأمريكيين اعتمدوا بعده على مقاربات أخرى لم تنف وجاهة طروحات سبيكمان و لكنّها تكيّفت مع الوضع العالمي الجديد، و هي مقاربات تتقاطع مع نظرية الاحتواء (Containment Theory) التي صاغها الديبلوماسي الشهير جورج كينان Georges Kennan و اعتمدها الرئيس هاري ترومان Harry Truman .

و تعتبر نظرية الاحتواء أو سياسة الاحتواء الإستراتيجية التي تبنتها الولايات المتحدة طيلة الحرب الباردة (1945- 1989) للتصدّي للخطر السوفييتي حسب الأمريكيين. لكنّه حرّي بنا أن نستوعب بعض الملاحظات و النتائج التي تبيّن أنّ سياسة الاحتواء لم تكن مرتبطة بأهداف إيديولوجية صرفة أي منع انتشار الشيوعية و نشر الليبرالية بل احتوت على أسس جيوسياسية ثابتة لا تزول بزوال المحدّد الإيديولوجي، و الدليل على ذلك هو الإبقاء على الحلف الأطلسي رغم زوال حلف وارسو بل قيام أمريكا بتوسعته ليمتد إلى أطراف روسيا الفيدرالية و مشروع الدرع الصاروخي الذي تعتبره روسيا امتدادا لنفس السياسات السابقة كمبادرة الدفاع الاستراتيجي التي اعتمدتها الولايات المتحدة في النصف الأول من ثمانينيات القرن العشرين و تمّت تسميتها مجازا بحرب النجوم.

كما أنّ المتتبع للنزاعات الواقعة في جورجيا و أوكرانيا و شبه جزيرة القرم يلاحظ أنّ العوامل الجيوسياسية التي تتحكّم في هذه النزاعات هي نفس العوامل و المبرّرات (أو تماثلها) التي أسّست للصراع في القرن التاسع عشر و القرن العشرين.

و هو ما سنفهمه بشكل أفضل عند تناول المقاربات الجيوسياسية الروسية.

المكتبة

المحاضرة العاشرة: المقاربات الجيوسياسية الروسية

أولا: البحث عن مفهوم جديد للهوّية الروسية(البحث عن الذات)

دخلت فيدرالية روسيا مرحلة جديدة مغايرة لجميع المراحل التي عرفتها خلال القرون الثلاثة الماضية، اتسمت بتحولات أعمق و أخطر من الثورة البلشفية، فإذا كانت التجربة السوفييتية قد عرفت تحولات جذرية على المستويين الاقتصادي و المؤسساتي وحتى الإيديولوجي للإمبراطورية إلا أنها من الناحية الجيوسياسية كانت استمرارا للسياسة التوسعية التي طبعت المرحلة القيصرية. بينما عكست المرحلة الجديدة الأمر، ما جعل الروس يتساءلون عن هوّية الدولة الجديدة، حدودها و الدور الجديد الذي يتعين عليها تأديته على المستوى المحلّي، الإقليمي و الدولي. و هل بإمكانها التملّص من تراثها القديم، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار الخصوصيات الروسية مقارنة مع الدول الكبرى الأخرى. فروسيا دولة متعددة الأعراق، وهي متصلة جغرافيا بالجمهوريات السوفييتية السابقة عكس المستعمرات الأوروبية السابقة التي تتواجد في ما وراء البحار ، واحتفاظها بمعظم مساحة الاتحاد السوفييتي و أكثر من نصف عدد سكّانه.

و عليه فمسألة الهوّية القومية عند الروس لا تنفصل بتاتا عن النقاش الجيوسياسي القديم و المتجدّد دائما، الأمر الذي جعل مارك فيرو و الذي يعد واحدا من أكثر العارفين بتاريخ روسيا يؤكّد أن " الروس هم الشعب الوحيد في العالم الذي يعتبر أن الاستعمار و التوسّع يكوّن جوهر تاريخه" و هو الأمر كذلك بالنسبة لمحمد رضا جليلي الذي يعتقد أنه " لا يمكننا فصل مسألة القومية الروسية عن مسألة التوسّع الاستعمار الروسي.

و يتوسّع بريزنسكي في هذه المسألة ، مؤكدا على ارتباط مسائل الهوية القومية بمختلف المقاربات الجيوسياسية المتضاربة في روسيا حيث يقول: "إن هذه الطروحات ليست مسائل مجردة، و مهما كانت طبيعتها، فالإجابة عنها ستكشف أنّ لدى الروس تساؤلات جيوسياسية متعددة، من ضمنها، هل روسيا دولة قومية تأسست وفق الهوية العرقية الروسية أو على شكل الأنموذج البريطاني، الذي لا يمكننا تقليصه الى انجلترا أو أنها تكشف عن فهم أكثر اتساعا يأخذ بعين الاعتبار بعد روسيا الامبريالي"

عرفت روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، بروز اتجاهات سياسية تعكس في كثير من الأحيان تنوع الخيارات الجيوسياسية المطروحة في الفترة القيصرية، سيؤدي ترجمتها الى الواقع اختلافا كبيرا في تحديد المصالح و الأدوار التي يتوجّب على روسيا تبنيها، و بخاصة في محيطها القريب.

- المقاربة التغريبية (occidentaliste): و يمثلها التيار السياسي الذي سيطر على دواليب صناعة القرار في روسيا، في السنوات الأولى التي تلت انهيار الاتحاد السوفييتي ، و هو تيار يرى أن تكثيف العلاقات مع الدول الغربية أي أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية و التخلّص من النزعة التوسعية ، سيمكّن روسيا من تطبيع علاقاتها و يمنحها مصداقية أكثر على الساحة الدولية، و هو المسعى الذي اجتهد (1990- 1996) Andrei Kozyrev في تحقيقه، الذي يرى أنه من الضروري تغيير الأساليب السوفييتية و التخلّص من تبعاتها، لأنها فشلت في تحقيق المصالح الروسية، و يرى أنصار هذا الاتجاه أن زيادة الارتباط مع الفضاء السوفييتي، و الدول الوسط-آسيوية بالدرجة الأولى يشكّل تهديدا لتجربة الديمقراطية الفتية في روسيا، و ليس بغريب أن نجد أنصار هذا الاتجاه هم أول من أسّس التيار الليبرالي و تبنى الإصلاحات الاقتصادية الراديكالية. فهم كانوا يعتقدون أن مسائل الهوّية لا بد أن تندرج ضمن منطق أضيق، و هو منطق العقلانية ، التي لا تتخذ حسبهم ، أي سياسات دون حساب حجم التكاليف و الأرباح. و تزامن هذا الطرح مع الضغوطات الغربية المتواصلة على روسيا و التأكيد على ضرورة أن تتحوّل روسيا الى دولة عادية أو طبيعية (Etat normal) أي دولة جديدة منزوعة التطلعات و الطموحات حسب خصوم هذا التيار، و تلخّصت هذه الرؤية في خطاب للرئيس التسين سنة 1991 الذي أكّد فيه أنّ " المرحلة الامبريالية في التاريخ الروسي قد انتهت: لن يكون هناك بعد اليوم عنف أو سيطرة" . بل إن الكثير من شعوب فيدرالية روسيا و أقاليمها الطرفية فهمت من تصريحات التسين التحرّرية دعوة رسمية للتحرّر و الاستقلال ، فبدأت مطالب الاستقلال تتسارع في الشيشان و تتارستان ، تماما كما فهمت هذه الشعوب خطابات لينين حول حقها في تقرير مصيرها ، و كان من الطبيعي وفق هذا المنظور أن تتخلى روسيا عن مسؤولياتها " التاريخية" تجاه الملايين من روس

الشتات و بخاصة الروس القاطنون في أوكرانيا و كازاخستان، وبالتالي يمكننا القول أن هذا الاتجاه ، استطاع تكبيل روسيا ، لكنه في المقابل لم يكن إلا تعبيرا عن التردّد و الحذر الذي يصيب كل دولة تمّر بمرحلة انتقالية.

أسباب فشل هذه السياسة: إن الفوضى التي عمّت روسيا ، بعد تفكّك الاتحاد السوفييتي، و غياب رؤية واضحة و متجانسة للدور الذي يتوجب على روسيا الاضطلاع به في محيطها القريب (أو كما يسمّيه الروس بالغريب المجاور l'étranger proche) ، لا يمكن تفسيره دون الرجوع الى بعض العوامل أدت في الأخير الى فشل المشروع الاندماجي الخاص بالفضاء السوفييتي و هو رابطة الدول المستقلة، و هي عوامل بعضها داخلي و الآخر خارجي.

ففيما يخص العوامل الداخلية ، فأهم سبب يعود الى عجز روسيا التحكّم في أقاليمها الطرفية ، و هنا لا بد ندرك أن الكثير من الروس قد لا يفرقون بين طبيعة الأقاليم الروسية التي تقطنها أعراق غير سلافية كالشيشان وداغستان و بقية الجمهوريات الإسلامية ، و مما زاد من صعوبة الفهم خطابات التسين التي شجعت الجمهوريات المستقلة ذاتيا على إعلان استقلالها (تتارستان و جمهورية الشيشان) و هو ما جعل المركز يلجأ مستقبلا الى تفاهمات حول منح مزيد من الاستقلالية و الصلاحيات للجمهوريات المستقلة ذاتيا و هو ما قبلته جمهورية تتارستان الغنية بالنفط و الواقعة في قلب روسيا، بينما رفضته جمهورية الشيشان التي دخلت في حرب مدمّرة ، جعلت روسيا تفقد هيبتها و قدرتها على فرض تصوراتها على دول مستقلة أصلا. و من الضروري التأكيد على نقطة أساسية وهي كون روسيا في السنوات الأولى لم تكن تفضّل الاستخدام المفرط للقوة تماشيا مع متطلبات المقاربة التغريبية التي أرادت أن تقنع الغرب أنها جادة في انتهاج سياسة القطيعة مع الأساليب السوفييتية و تبني الخيار الديمقراطي. و هي وضعية تشبه الى حد كبير المرحلة التي تبعت ثورة 1917، بفعل الوعود التي أطلقها لينين و طرحه لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.

أما الأسباب الخارجية ، فتتصل بظهور سياسات قومية لدى الجمهوريات المستقلة تطمح الى الابتعاد عن المركز، و هي اتجاهات طبيعية بالنسبة لدول فتية تريد تثبيث سيادتها و تأكيد استقلالها ، لكنّها اكتست في بعض الأحيان طابعا معارضا لكل توجّه اندماجي يسعى الى تفعيل الارتباطات و الاعتماد المتبادل المتبادل بين دول الاتحاد سابقا، فدول الفضاء السوفييتي أو ما

يسمّيه الروس " الغريب المجاور" انقسمت الى 4 مجموعات متمايزة، انتهجت كل واحدة مسارا مختلفا تجاه فيدرالية روسيا و مشاريعها الاندماجية : فالمجموعة الأولى ، و تتكون من دول البلطيق الثلاثة رفضت منذ البداية أي شكل من أشكال التقارب مع روسيا، وقد تمّ لها ذلك باندماجها في المنظومة الاقتصادية و الأمنية الغربية ، أما المجموعة الثانية، فتكونت من أربع دول شكّلت ما يسمى مجموعة GUAM (و هي الأحرف الابتدائية باللغة الانجليزية لجورجيا، أوكرانيا، أذربيجان و مولدافيا) و قد يضاف إليها جمهورية أزبكستان لتصبح GUUAM و جمهورية تركمنستان التي التزمت الحياد ، و هذه الدول لا ترغب في الدخول في مشاريع اندماجية مع روسيا، و تحبذ العلاقات الثنائية العادية، أما المجموعة الثالثة، فتتكون من كازاخستان، كيرخيزستان ، طاجاكستان، و أرمينيا و هي الدول التي انخرطت في جميع المشاريع الاندماجية الروسية. و يرجع قبول هذه الدول للمشاريع الروسية لعاملين أساسيين، فكازاخستان و كيرخيزستان كانتا مضطرتين لذلك نظرا للعدد الكبير من الروس الذين استوطنوا هاتين الجمهوريتين، أما بالنسبة لأرمينيا و طاجاكستان فلقد كانت الظروف الأمنية هي المحدّد الأكبر لسلوكهما ، فأرمينيا كانت تحتاج الى بقاء الدعم الروسي في نزاعها مع أذربيجان حول اقليم كاراباخ و طاجاكستان كانت تعيش حربا أهلية طاحنة، أما المجموعة الرابعة فتتكون من دولة واحدة هي روسيا البيضاء التي سعت الى اندماج أكبر مع روسيا، بالنظر الى تبعيتها الاقتصادية و طبيعة نظامها بالدرجة الأولى. أنظر الشكل

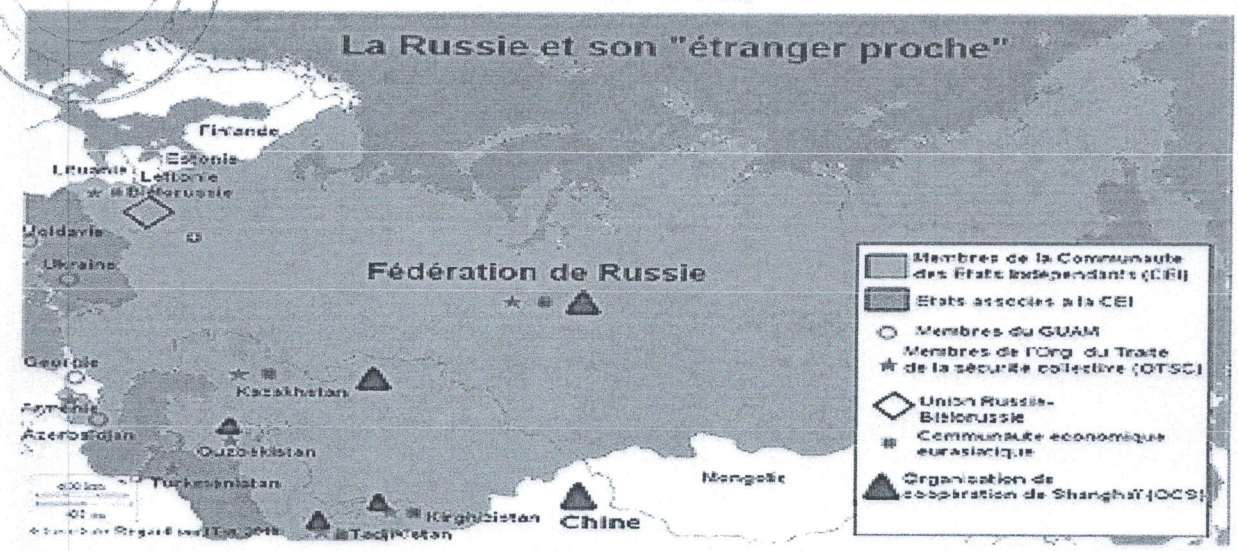

الشكل رقم: تمايز المشاريع الاندماجية بين روسيا ودول " الغريب المجاور

و يمكننا القول انطلاقا من المعطيات السابقة،أي وضع روسيا الداخلي من فوضى و تفكّك في جميع النواحي (سياسيا، اقتصاديا و اجتماعيا) و تربع التيار التغريبي على مقاليد الحكم ، كانت الأسباب المباشرة في عجز السلطات في تبني سياسة خارجية واضحة المعالم تجاه روس الشتات ، و هو ما ترك هذه الأخيرة ، تعيش في عزلة و تضييق على حقوقها السياسية و الثقافية ، بفعل تنامي القومية-العرقية في دول الغريب المجاور، و بخاصة في الدول التي تقطنها أقليات عرقية روسية كبيرة على غرار أوكرانيا و كازاخستان. و عليه يمكننا اختصار السياسة الروسية تجاه روس الشتات (diaspora russe) بالتجاهل (l'Ignorance) في أحسن الأحوال و باعتبارهم كعبء يضاف لمجمل الأعباء الداخلية المعقّدة. لكن الانحطاط الذي وصلت له السياسة القومية الروسية ، ما كان ليستمر أكثر من ذلك ، و هو ما حصل بالفعل مع بروز تيارات سياسية و جيوسياسية مناوئة للتيار التغريبي.

- المقاربة الأورو-آسيوية: و يمكننا تلخيص هذه المقاربة من خلال مقولة معبّرة طرحها Evgeni Primakov خلال عرضه لحصيلة عمله السنوية على رأس وزارة الخارجية الروسية في جانفي سنة 1997 " إن قوة كروسيا ، مع كل ما تمتلكه من مصالح ضخمة في آسيا و الشرق الأدنى، لا يمكنها أن ترضى أو تقنع بالسير بقدم واحدة، أي القدم الغربية، و لكن يتوجّب عليها اليوم، أن تسير بقدميها الاثنتين: الأوروبية

- Sophie Chautard, *L'indispensable de la Géopolitique,* Paris, FNAC, 2006
- Pascal Boniface, La Géopolitique , Les Relations internationales, Paris, IRIS,EYROLLES, 2011.
- Pascal Gauchon, Les 100 mots de la géopolitique, Paris, PUF,2017.
-
-
-